ميثاق الرابطة

لسان رابطة علماء المغرب

أسبوعية جامعة تصدر كل يوم خميس • الثمن : 3 دراهم

السنة 33 ـ العدد 915 الخميس 14 صفر 1421هـ ـ الموافق 18 ماي 2000م

رسالة من رابطة علماء المغرب للسيد الوزير الأول

ص 2

كيف عالج الإسلام ظاهرة الفقر والمستضعفين

مغالطات التقرير السنوي الأمريكي حول حقوق الإنسان في مجال العقيدة بالمغرب

العنف ظاهرة غربية أيضاً

كلمة العدد

جمعيات العلماء والحق في سماع رأيها كمؤسسات

يعتبر نظام المؤسسة من الثوابت الراسخة لدى العلماء والفقهاء بالمغرب على مر التاريخ مما ساهم في ولوجهم مطلع القرن الماضي الى تأسيس المجتمع السياسي والرياضي قياسا على العلمي والثقافي والاجتماعي الذي برزوا فيه وهكذا كانوا السباقين في اقتراح مشروع دستور للمغرب في مطلع القرن والمؤسسين للجمعيات مثل: (الرابطة المغربية سنة 1923) و(الوداد سنة 1424) و(أنصار الحقيقة سنة 1926) والجمعيات الخيرية وجمعيات المحافظة على القرآن الكريم والذي من ابرز قيادمتها المجاهد العلامة ابو بكر القادري وغيره من العلماء الافاضل الذين مايزالون على قيد الحياة.

ومع توالي الأيام تنوعت جمعيات العلماء في كل ربوع المملكة الشريفة حيث تعتبر جمعية علماء سوس من اعرق الجمعيات التي تبلغ من العمر حوالي الخمسين سنة، وكذلك رابطة علماء المغرب التي تأسست سنة 1961. وجمعية العلماء خريجي دار الحديث الحسنية، وجمعيات أخرى مماثلة منبثة هنا وهناك تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر بالحكمة والموعظة الحسنة غير مبدلة ولا مغيرة ولا طامعة في سمعة أو جاه..

إلا أن ما يثير التساؤل هو تعامل بعض مؤسسات الدولة مع هذه الجمعيات، حيث نراها مغيبة عن المجالات التي تهتم بها فحتى في ميدان الأخلاق الذي هو لحمة وسدى عملها، لا نجدها تستشار أو تستدعى أو يؤخذ لها برأي، وهو عمل شاد لا يجمل السكوت عنه في دولة المؤسسات لذلك نقول بأنه آن الأوان لإعطاء الكلمة لأصحابها ورفع الغشاوة عن أعين تلك المؤسسات، لتنظر إلى جمعيات العلماء خاصة إذا علمنا أن أعضاء هذه الجمعيات والمؤاسات منتشرون في النسيج الاجتماعي، وأنهم يعدون بالآلاف، وأبسط احصاء يقول بأنه اذا كان لدينا 40000 ألف دوار فإن بها على الأقل 40000 فقيه وعالم واذا كان بالمغرب 1500 جماعة حضرية وقروية فان بها على الأقل 1500 خطيب للجمعة ومثلهم من الأئمة الرواتب، ناهيك عن وجود العشرات في الجماعة الواحدة خاصة الحواضر. لذلك فإن محاورتها لم يعد نافلة، وإنما من أوكد الواجبات التي لا تحتمل الإبطاء لما فيه من خير وصلاح يعم البلاد والعباد.

ميثاق الرابطة

مغالطات التقرير السنوي الأمريكي حول أوضاع حقوق الإنسان بالمغرب في مجال العقيدة

قال تعالى : ﴿ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم﴾ البقرة120.

إنها الخلاصة التي يمكن استنتاجها من قراءة التقرير الذي أصدره مكتب الديموقراطية وحقوق الإنسان والشغل في وزارة الخارجية الأمريكية، حيث تضمن بندا تحت عنوان «حرية العقيدة» مما جاء فيه أن المغرب «لم يسمح إلا مؤخرا بالممارسة الدينية إلا للإسلام والمسيحية واليهودية» وهو افتئات ما أنزل الله به من سلطان، فالخاص والعام يعرف أن المغرب اوى اليهود وأنقذهم من محاكم التفتيش وسمح للنصارى بإقامة كنائس في أنحاء مختلفة من البلاد وإذا كان المغاربة مسلمون حسب التقرير بنسبة 99٪ فهذا ليس عيبا لأن الدين عند الله الإسلام، ولأن المغاربة لا يقبلون بالإسلام بديلا رغم المحاولات المتكررة لتنصير أبنائهم خاصة في زمن الاحتلال، وخاصة في الفترة التي ذكرها التقرير عندما قال: «ومنذ عهد الحماية الفرنسية (1912 – 1956) فتحت جالية مسيحية محدودة العدد كنائس ودور أيتام ومستشفيات ومدارس دون قيد أو شرط للحصول على تصريح» لأن الحماية اخلت بالتزاماتها ونقضت نص المعاهدة من أجل الاستحواذ لا على مقدرات البلاد ولكن من أجل سلب المغاربة هويتهم الدينية والوطنية عن طريق المبشرين الذين صالوا وجالوا في ذلك الزمن عندما كان الأجانب يعتبرون أن المغرب جزء من فرنسا بلا قيد ولا شرط مما جعل المؤرخين يقولون بأنه بعد صدور الظهير البربري1920 القاضي بإخراج سكان الأطلس من نظام الشريعة الإسلامية وتكوين مراكز تبشيرية واسعة النطاق لتحويل الأهالي عن ديانتهم إلى الديانة المسيحية بكل الطرق الممكنة حيث يستغل رهبانها المنتشرون في كل مكان ما يحيط بالأهالي من كوارث لزعزعة عقيدتهم عن طريق النفوذ والمساعدات المالية التي كانت ترصد لذلك من الميزانية العامة للدولة (ص : 101) وهو ما لم يعد له وجود بعد استقلال البلاد إلى أن ذكرنا به التقرير الأمريكي باسم حقوق الإنسان، مدعيا أن المحاكم تطرد المبشرين الذين يعملون على تنصير أبناء المغاربة مما يعتبر خرقا سافرا لحقوق الإنسان في حماية معتقداته وعدم المساس بمقدساته.

ولم يكتف التقرير باحتجاجه على هذه الإجراءات القانونية بل تعداه إلى عقد فصل تحت عنوان «حرية العقيدة» تعرض فيه لدور وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بشكل مريب مما يجعلنا نذكر بمواقف المغاربة في الزمن الذي يستشهد به التقرير وهو زمن الحماية حيث عمل الاستعمار على ملامسة دور الأوقاف فقام الشعب عن بكرة أبيه منددا بذلك بالعرائض والتنديد، وفي كتاب الأحباس الإسلامية في المملكة المغربية للشيخ المكي الناصري المطبوع في الثلاثينيات مايغني عن كل حديث ومما جاء فيه من فضح لسياسة التسلط على الأوقاف قوله «إن مراقبة الأحباس لم تكتف بما فعلته ضد الإسلام وجماعة المسلمين بل إنها اتجهت أخيرا في أعمالها اتجاها علنيا صريحا ضد نفوذ جلالة السلطان فأخذت تعمل لمقاومة النفوذ السلطاني... بمقاومتها لبناء المساجد لأن تلك المقاومة زيادة على ما فيها من محاربة للشعائر الإسلامية هي في الباطن مقاومة لنفوذ المخزن الشريف حيث أن الجوامع تكون مركزا لإلقاء الخطب الدينية الجمعية يذكر فيها اسم جلالة السلطان بأنواع التبجيل والتعظيم وأن يوجه له الدعاء الصالح من كافة المؤمنين».

وإذا كان التقرير يرى أن جهود المبشرين فاشلة وأن إحدى الفرق الضالة لا تعرف هرطقتها رواجا وأن إقحام مسألة العقيدة في التقرير يذكر المغاربة بحقبة سيئة لا تشرف أحدا.

والخلاصة أن الجهة التي صدر منها التقرير لا يخفى عنها الدور الذي لعبه المغرب في التاريخ وكيف أنه كان من البلدان الأولى التي اعترفت باستقلال الولايات المتحدة وربطت معها علاقات مهمة أقول لا يخفى عنها أن المغرب بلد مسلم ملكي النظام سني العقيدة مالكي المذهب لا تطرف فيه ولا غلو ومن أبسط الحقوق له على غيره احترام اختياراته وأن البحث عن الفرج لن يزيده إلا تماسكا والتحاما وأنه إذا كان التعبير حق إنساني فإن الاحترام لا يقل عنه إنسانية وأنهما معا لا يتحققان إلا في ظل الصدق والعدل وهو ما يفتقد مع الأسف في هذا التقرير الذي جاء ينفخ في رماد بارد.

رسالة من رابطة علماء المغرب إلى السيد الوزير الأول

على إثر تداول الصحف نبأ تشكيل لجنة وطنية للنظر في خطة إدماج المرأة في التنمية اجتمعت الأمانة العامة للرابطة وتداولت في الأمر وقررت توجيه رسالة في الموضوع إلى معالي الوزير الأول وبعدما تشكلت اللجنة ولم تمثل فيها الرابطة اجتمعت مرة أخرى وقررت نشر الرسالة التي لم تحظى بجواب عنها وفيما يلي نص الرسالة :

من الأمين العام لرابطة علماء المغرب

إلى

السيد معالي الوزير الأول

الموضوع تمثيل الرابطة في لجنة خطة إدماج المرأة في التنمية

سلام تام بوجود مولانا الإمام دام عزة وعلاه

وبعد، لقد نشرت بعض الصحف الوطنية أنكم قررتم تشكيل لجنة وطنية للنظر في خطة إدماج المرأة في التنمية، ونظرا لأن الموضوع يتعلق بالشريعة الإسلامية، وبما أن الدستور ينص على أن دين الأمة هو الإسلام ونظرا للمواقف التي ما فتئت رابطة علماء المغرب تعبر عنها في هذا المجال ومن ذلك البيان الذي أصدرته حول الخطة بتاريخ 12 صفر 1420 والذي كان له الصدى الطيب في الداخل والخارج.

فإن رابطة علماء المغرب تطلب من معاليكم إشراكها في عضوية اللجنة المذكورة ممثلة بخمسة أعضاء منها باختيارها حتى تتمكن من الإدلاء برأيها الشرعي في الموضوع.

وفي الأخير تقبلوا فائق تقديرنا واحترامنا.

وحرر بالرباط في 24 أبريل 2000

الخطبة المنبرية

الطهارة

الدكتور: حسن الغربي

الحمد لله رب العالمين، نحمده تعالى كما ينبغي، ونشكره سبحانه كما يليق، ونشهد أنه الله الواحد الأحد، حث المؤمنين على التطهر والنظافة باطنيا وظاهريا فقال: ﴿إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين﴾

ونشهد أن سيدنا وحبيبنا وقدوتنا محمدا رسول الله بين أن الجنة مأوى المتنظفين من أمته فقال: (تخللوا فإنه نظافة، والنظافة تدعو إلى الإيمان والإيمان مع صاحبه في الجنة. ثم قال أيضا: هذا المتخللون من أمتي. قالوا: وما المتخللون يا رسول الله؟ قال: المتخللون في الوضوء، والمتخللون من الطعام. أما تخليل الوضوء، فالمضمضة و الاستنشاق وبين الأصابع. وأما تخليل الأسنان فمن الطعام وإنه ليس شيء أشد على الملكين، من أن يريا بين أسنان صاحبهما طعاما وهو قائم يصلي.

عباد الله، إن ديننا الحنيف الذي أتم الله به النعمة يدعو أتباعه للسعي نحو الارتقاء والتطلع إلى درجات الكمال. وإن صحة الأجسام وجمالها ونظافة الأبدان ونضرتها لمن الأمور التي اعتنى بها الاسلام عناية فائقة إذ اعتبرها من صميم رسالته وجوهرا من جواهر دعوته.

قال عليه الصلاة والسلام: إن الله تعالى طيب يحب الطيب، نظيف يحب النظافة، كريم يحب الكرم، جواد يحب الجود، فنظفوا أفنيتكم ولاتشبهوا باليهود.

وهذه النظافة، أيها الناس، تطال كل جوانب الحياة. فالشخص لايكون ذا بال في ميزان الإسلام إلا إذا تعهد جسمه بالنظافة وكان في مطعمه ومشربه بعيدا عن الأدران المكدرة وفي هيئته نائيا عن الأحوال المنفرة.

لقد كرم الإسلام البدن فجعل طهارته شرطا من شروط الصلاة وجعل هذه الصلاة تتكرر خمس مرات في اليوم كما كلف المسلم أن يغتسل في أحيان كثيرة وفي مناسبات عديدة. قال الله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين. وإن كنتم جنبا فاطهروا﴾ ثم إن الإسلام لم يدع أمر الغسل إلى حين توفر الظروف التي تفرضه، بل وقت للغسل يوما في كل أسبوع على الأقل. روى الإمام مسلم أن رسول الله ﷺ قال: (غسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم وسواك ويمس من الطيب)

هذا، أيها المؤمنون، عن نظافة البدن عند حضور الصلاة، فماذا عن نظافته في الأحوال العامة؟ لقد سن سيدنا محمد ﷺ الاستعداد للطعام بالنظافة فقال: (بركة الطعام الوضوء قبله والوضوء بعده...) يعني بذلك غسل اليدين، ثم أمرنا أن نتخلص من فضلات الطعام وروائحه وآثاره حفظا للصحة وصيانة للكرامة وإثباتا للآداب العامة، فقال ﷺ محذرا: (من بات وفي يده ريح غمر فأصابه شيء فلا يلومن إلا نفسه...) أي من بات وفي يده رائحة كريهة من جراء الطعام ولم يحترز من الجراثيم التي تجد مرتعا في ذلك فتنتج عنه مرض فلا يلومن إلا نفسه. وقال ﷺ: (تسوكوا فإن السواك مطهرة للفم مرضاة للرب. ماجاءني جبريل إلا أوصاني بالسواك حتى لقد خشيت أن يفرض علي وعلى أمتي).

ولا غرو - أيها الناس - أنه، عليه السلام، يعني بالسواك هنا كل مايعين على تطهير الفم من عود أو إصبع أو فرشاة أو معجون. ولقد ذهب الإسلام أبعد من هذا في مطالبته بالنظافة والتخلص من الروائح الكريهة فدعا من أكل ثوما أو بصلا، وهما من الحلال، أن يتجنب الدخول إلى المسجد حتى لا يؤذي الآخرين لأن إذاية المسلم حرام. قال عليه السلام: (من مس من هاتين الشجرتين فلا يقربن مسجدنا) فما بالكم، عباد الله، بمن يشرب الخمر على ملأ أو يدخن ولا يأبه بالحاضرين؟ ثم فوق كل هذا، لقد أوصى الإسلام بأن يكون المرء حسن المنظر كريم الهيئة وألحق ذلك بآداب الصلاة فقال عز من قائل: (يابني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد) روى الإمام مالك عن عطاء بن يسار قال: (أتى رجل للنبي ﷺ ثائر الرأس واللحية، فأشار إليه الرسول كأنه يأمره بإصلاح شعره ففعل ثم رجع، فقال رسول الله ﷺ: أليس هذا خيرا من أن يأتي أحدكم ثائر الرأس كأنه شيطان؟

ومسك الختام، أيها الإخوة الكرام، حديث صحيح جامع يغلب عليه التوجيه إلى الطهارة والنظافة. روى الإمام مسلم والإمام أحمد أن رسول الله ﷺ قال: عشرة من الفطرة، قص الشارب، أي تقصيره والأخذ منه، وإعفاء اللحية، أي إرسالها حتى تطول، والسواك، و قد تكلمنا عنه آنفا، والاستنشاق بالماء في الوضوء وغيره، وقص الأظافر أي تقليمها، وغسل البراجم أي غسل مفاصل الأصابع، ونتف الإبط تفاديا للروائح الكريهة المفرطة من جراء العرق الكثير، وحلق العانة أي الاستحداد، وانتقاص الماء وهو الاستنجاء وغسل الخيشين، والمضمضة بتحريك الماء داخل الفم حتى يستوعبه جميعا.

فهذا الحديث، عباد الله، جعل الحرص على أسباب النظافة من سنن الفطرة أي الخلقة الأولى التي خلق عليها الإنسان...

فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لايعلمون.

نفعني الله وإياكم بالقرآن الكريم وبحديث سيد الأولين والآخرين ويرحم الله عبدا قال آمين.

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المصطفى الأمين وآله وصحبه أجمعين.

أما بعد، فيا عباد الله، لم يقف الإسلام عند هذا الحد من النظافة، بل تعدى التطهير والتجميل نطاق الأشخاص وامتد إلى بيوتات وشوارع المسلمين. قال عليه الصلاة والسلام: (الإيمان بضع وسبعون شعبة، أعلاها لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق. والحياء شعبة من الإيمان).

نعم، إن بيوتنا عموما، تزخر بشيء من العناية، ولكن... أيمكننا أن نقول نفس الكلام بالنسبة لشوارعنا؟ ما بالها أصبحت مليئة بالأوساخ والنفايات؟ ما بال أقوام يرمون الأزبال من نوافذ سياراتهم الفاخرة؟ ما بال أناس يتبولون في الطرقات؟ وما بال آخرين يدخنون في الأماكن العامة وأخرى بهم ألا يدخنوا بالمرة؟ لقد ضاعت الفضيلة وغابت المروءة وساد عدم التربية والوعي فأصبحت الأدران تعشش بين ظهرانينا، بيد أن الرسول ﷺ يقول: (من آذى المسلمين في طرقهم وجبت عليه لعنتهم. رواه الطبراني. وفي رواية: (من سل سخيمته على طريق من طرق المسلمين، بمعنى من تغوط في طريق من طرق المسلمين، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين) رواه البيهقي.

صدقت يارسول الله حين قلت: والحياء شعبة من الإيمان. وقلت في مناسبة أخرى: إن لم تستحي فاصنع ما شئت.

اللهم لا تؤاخذنا بما فعل السفهاء منا، أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين.

اللهم إنا نسألك الرشاد والتقى والفوز بالجنة. اللهم اهدنا واهد أزواجنا وذرياتنا إلى ما فيه رشدنا ورضاك. ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما.

اللهم أيد أمير المؤمنين الملك سيدي محمد السادس وأعنه يارب على إعلاء كلمتك ونصرة دينك والسير ببلادك نحو النظافة والطهارة وحسن منقلبك.

اللهم قو دائرته وبطانته بالصادقين المخلصين وأسعده يارب بشقيقه الرشيد وارحم والده الحسن الثاني الفقيد يا ولي ياحميد.

اللهم انصر من نصر الدين واخذل من خذل المسلمين، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم.

قبسة من أنوار الوحي

بركة المؤمن حيا وميتا

الدكتور محمد أبو الفضل

أخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما عن عبد الله بن عمر، رضي الله عنهما، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم: قال: إن من الشجر شجرة لايسقط ورقها، وهي مثل المسلم، حدثوني ماهي؟ فوقع الناس في شجر البادية، ووقع في نفسي أنها النخلة، قال عبد الله فاستحييت، فقالوا يارسول الله: أخبرنا ماهي؟ فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- هي النخلة، قال عبد الله: فحدثت أبي، بما وقع في نفسي، فقال: لأن تكون قلتها أحب إلي من أن يكون لي كذا وكذا.

ترجمة راوي الحديث: هو عبد الله بن عمر بن الخطاب، رضي الله عنهما، القرشي العدوي، أمه وأم أخته حفصة، زينب بنت مظعون بن حبيب الجمحية.

أسلم مع أبيه وهو صغير، لم يبلغ الحلم بعد، وكانت هجرته قبل هجرة أبيه، وأجمع أهل السير أنه لم يشهد غزوة بدر الكبرى التي كانت الفاصلة بين الشرك والتوحيد، والكفر والإسلام، فقد استصغره الرسول الكريم فيها ورده، واختلف أهل العلم في شهوده غزوة أحد فقيل: شهدها، وقيل: رده الرسول، عليه الصلاة والسلام، مع غيره ممن لم يبلغ الحلم بعد، وأول مشاهده غزوة الخندق، كما شهد غزوة مؤتة، مع جعفر بن أبي طالب، رضي الله عنهم، وشهد اليرموك، وفتح مصر، وإفريقية. وكان كثير الاتباع لآثار رسول الله، عليه السلام، حتى إنه ينزل منازله، ويصلي في كل مكان صلى فيه، وكان عبد الله بن عمر يتعاهد شجرة بالماء لئلا تيبس، هذه الشجرة كان النبي، صلى الله عليه وسلم، قد نزل بها، وقد رأى رؤيا صالحة ومبشرة فقد روي عنه أنه قال: رأيت في المنام كأنما بيدي قطعة استبرق ولا أشير بها إلى موضع من الجنة، إلا طارت بي إليه، فقصصتها على حفصة، فقصتها حفصة على النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: إن أخاك رجل صالح - أو إن عبد الله رجل صالح - قال الترمذي بعد ذكر الحديث: هذا حديث حسن صحيح. وكان من المكثرين عن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، بعد من أصحاب الألوف فقد روى الفي وستمائة وثلاثين حديثا 2630.

طريفة: قال ابن الأثير بسنده إلى نافع عن عمر أنه خرج في نواحي المدينة ومعه أصحاب له، ووضعوا السفرة له، فمر بهم راعي غنم فسلم فقال عمر: هلم ياراعي فأصب من هذه السفرة. فقال له: إني صائم، فقال ابن عمر أتصوم في مثل هذا اليوم الحار؟ الشديد سمومه؟ وأنت في هذه الحال ترعى هذه الغنم؟ فقال: والله إني أبادر أيامي هذه الخالية، فقال ابن عمر، وهو يريد أن يختبر ورعه، فهل لك أن تبيعنا شاة؟ من غنمك هذه فنعطيك ثمنها، ونعطيك من لحمها ما تفطر عليه؟ فقال: إنها ليست لي بغنم. إنها غنم سيدي، فقال له ابن عمر: فما يفعل سيدك إذا فقدها؟ فولى الراعي عنه، وهو رافع اصبعه إلى السماء وهو يقول: فأين الله؟ قال فجعل ابن عمر يردد قول الراعي يقول: قال الراعي: فأين الله؟ فلما قدم المدينة بعث إلى مولاه فاشترى منه الغنم والراعي، فأعتق الراعي ووهب له الغنم.

في مجلس من مجالس الرسول، عليه السلام، وقد ازدان بنخبة من الرعيل الأول، أصحابه الكرام أراد أن يبين لهم في هذا المجلس العطر المسلم الحق، الذي يصلح أن يكون عضوا حيا في الجامعة الاسلامية، التي يرأسها رسول الانسانية، وأن يكون لبنة قوية متماسكة، في بنائها، ومن أحق من الرسول الكريم بهذا الحديث، وهو أول من أسلم لله، عز وجل، وأول المسلمين بشهادة رب العالمين - قل إن صلاتي ونسكي، ومحياي ومماتي لله رب العالمين، لا شريك له، وبذلك أمرت، وأنا أول المسلمين.

والذي أثار الحديث عن المسلم الحق، مناسبة لطيفة، والمناسبة شرط كما يقول العلماء، اتخذ منها إمام المربين، وأول المعلمين، وقائد الغر المحجلين، أبو القاسم محمد بن عبد الله، عليه الصلاة والسلام، طريقا إلى اختبار ذكاء أصحابه، وامتحان معلوماتهم، في أسلوب مثير، ومشوق، لما يعلمهم من العلم والحكمة، ويزكيهم بالتربية والتعليم، والتشويق فيه من فنون التربية، وضرب من أضرب البلاغة، والبيان، عنى به المربون، وعلماء النفس كثيرا. وأوسعوه بحثا، ودرسا، وألفوا فيه كتبا، وكتبوا مقالات، لما له من أثر عظيم في تنبيه الفكر وجمع القوى، والمناسبة التي جعلت الرسول الكريم يسأل أصحابه عن المسلم الحق هي الهدية. فقد أهدى إليه عليه السلام جمارا، فأكل منه، والجمار جمع جمارة وهي قلب النخلة وشحمتها، ثم سأل أصحابه أن يخبروه عن الشجرة التي لا يسقط ورقها، على غير المألوف في الشجر، والتي تشبه المسلم، في النفع، والخير، والبركة، والصبر وماإلى ذلك من خصال الخير العميم. فأخذ الصحابة الكرام، والتلاميذ الأصفياء يتعرضون ما يعلمون من شجر البوادي، غافلين عن الشجرة التي أكلوا من جمارها وذاهلين عن تسمية النخلة بالشجرة، وإن كان الجمار قرينة يفهم منها المسؤول الإجابة وتنبيها على الإجابة الصحيحة التي يريدها الرسول العظيم. لكن عبد الله بن عمر، رضي الله عنه، الزاهد التقي، والعالم التقي، والشاب الذكي تنبه إلى أن الشجرة التي مثلها كمثل المسلم هي النخلة، وأن الجمار قرينة ومناسبة في هذا التنبيه. ولقد هم عبد الله أن يجيب عن هذا اللغز، وتحرك وجدانه بالافصاح عن الحقيقة التي يطلبها الرسول ولكنه نظر، فنظر في الحلقة العلمية التي يرأسها الرسول، صلى الله عليه وسلم، فإذا هو أصغر القوم، وكان عاشر عشرة هو أحدثهم، وفي المجلس كبار الصحابة، يضم أبا بكر، وعمر وهما واجمان لا يتكلمان، فكيف لغلام يتجرأ على الكلام أمام الشيخين، وهذا أمر لا يقدر عليه عبد الله لأنه شاب حيي، والحياء من الإيمان، فامتنع عن الكلام، وآثر السكوت عن المشاركة في هذا الحوار الذي جرى بين الرسول، عليه السلام، وأصحابه الكرام، وهو يعلم علم اليقين أنه لو تكلم صادف الصواب ونال أكبر وسام ولكنه الحياء، والحياء رأس الإيمان: ثم الأدب الرفيع الذي درج عليه هذا الغلام والذي تلقنه في بيته وهو طفل حدث، وتعلم من أبويه السلوك الحسن، وأنه يحترم من هو أسن منه، ويجب عليه تقدير الآخرين، وتبجيل الأكابر وأن لا يكون ثرثارا في كل ناد يخطب، فإن الثرثار كسرها لا يشعب.

لذلك امتنع عن الإجابة، فعبد الله مؤدب متخلق حي، ينزل الناس منازل وإن كان أعلمه أعلمهم. يتبع.

الإسلام وحماية البيئة

الأستاذ: الحسين العمريش

إن الموضوع الذي سأتناوله، اليوم، مرتبط بمسألة حماية البيئة وتصور الاسلام حولها، والسؤال الذي يبدولي طرحه في البدء–خاصة وأن هذه المسألة ارتبطت بوقتنا الحاضر أكثر من غيره، أي أنها تدخل ضمن المستجدات–والسؤال هو: هل اعتنى الاسلام بمسألة البيئة وخصها بالتشريع، أم هي مرتبطة بما يسمى عند الفقهاء والعلماء بشمولية أنظمة الاسلام لكافة جوانب الحياة؟

وأجيب فأقول:

إن الدارس لجوانب الاسلام المتعددة يجده قد تناول بالتنظيم كل العلاقات التي يمكن لتصورها، فنظم علاقة الفرد بربه،ونظم علاقة الفرد بالفرد، وعلاقة الفرد بالمجتمع، ثم علاقة الدولة بغيرها من الدول.

ذلك أن حكمة الله تعالى اقتضت أن لايترك عباده دون نظام كامل لحياتهم، يكون فيه من المبادئ والتفاصيل والجزئيات ما ينظم كل جوانب الحياة، قال الله تعالى:(أيحسب الانسان أن يترك سدى)(1) وقال أيضا:(فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى)(2)

والقاعدة الجامعة في شمول أنظمة الاسلام، أنه لايمكن أن توجد قضية تخص الفرد أو الجماعة أو الدولة أو المجتمع الدولي إلا وللتشريع الاسلامي حكم فيها، نصا أو اجتهادا، لأن الشرع له حكم في كل مسألة في الحياة، ولايمكن أن تخرج عن ذلك مسألة واحدة على الاطلاق، فلا نجد لها حكما ينظمها في التشريع الاسلامي.

وقد ارتأى الفقهاء أن النظم الشرعية ترتد إلى ناحيتين رئيستين:

ناحية العمل الذي كلف الله المسلمين به، تقربا إلى الله زلفى، وهو ما يعرف بالعبادات.

وناحية العمل الذي يتخذه المسلمون سبيلا لضمان مصالحهم، ودفع مضارهم فيما بينهم وبين غيرهم من الناس، وهي الناحية المعروفة باسم المعاملات، وواضح أن القيام بالمعاملات يستند إلى نظم شرعية أخلاقية تدعو إلى مكارم الاخلاق المبثوثة في ثنايا القرآن والسنة، لذا كانت الشريعة إلى المعاملة وحسن الخلق فضلا عن العبادة.

وأهم ما في مقاصد الشريعة الاسلامية، أنها تهدف إلى تنظيم الصلة بين الناس وبين ربهم، وتنظيم علائق الناس بعضهم ببعض في الحياة العملية وإقامة التعاون والعدل بين الناس جميعا، وعمارة الارض لمصلحة الانسان الذي استخلفه الله فيها.

لذلك جاءت الشريعة الاسلامية رحمة للعالمين أي تحقيقا لمصلحة الانسان فهي خطاب إلاهي موجه إلى الانسان، وموضوع أحكامها هو عمل الانسان، لان الله تعالى في غنى عن أي عمل إنساني.

ويدخل ضمن هذا الاطار، بيئة الانسان ومحيطه الذي يعيش فيه، فالحفاظ على مجاله البيئي فيه تحقيق للمقصد العام من الشريعة الاسلامية الذي هو جلب المصلحة ودرء المفسدة، فكل عمل من الانسان يتجه إلى الحفاظ على البيئة هو تحقيق لمصلحته وحماية لنوعه، وصحته، ومحيطه، الذي يعيش فيه، وبالمقابل فكل عمل من الانسان يتجه نحو إفساد البيئة، وإلحاق الأضرار بها من تدمير للغابة وتلوث للمياه، تكاثر النفايات الضارة، قد يعني تخريب للبيئة وجلب المفسدة على نوع الانسان وصحته ومحيطه.

ونجد مثل هذا من خلال قوله تعالى:«قل آرأيتم وإن أصبح ماؤكم غورا فمن ياتيكم بماء معين»3

وقد كثر الحديث في السنوات الاخيرة، عن مايسمى بتلوث المياه، وما تسببه من أضرار لصحة الانسان، فلم يعد يطمئن كثير منا للمياه سواء أكانت جوفية ام سطحية، نتيجة تأثر مياه الشرب بما تلفظه المصانع والمعامل والاشخاص من نفايات وأزبال مواد خطيرة، جعلت مياهنا معرضة لاخطار التلوث وبالتالي أثرت سلبا على حياة المواطنين وصحتهم ومحيطهم الاجتماعي والبيئي.

وأعظم ما ورد عن رسول الله(ص هو دعوته إلى إبعاد كل أذى قد يصيب لانسان ومجاله الذي يعيش فيه فقال عليه الصلاة والسلام: (الايمان بضع وسبعون شعبة، أعلاها: لاإلاه إلا لله، وأدناها: إماطة الاذى عن الطريق) متفق عليه.

وهذا الحديث النبوي الشريف دليل قوى على ارتباط البيئة بالايمان والعقيدة والاخلاق، فكل مؤمن صادق الايمان، يدفعه وازعه الديني وضميره الحي إلى أن يكف عن أي عمل قد يلحق به الاذى،أو بغيره أو بيئته، بل إن الرسول الكريم قد ربط بين الصدقة وإماطة الاذى حين قال في الحديث الذي رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة (ض): «كل سلامي من الناس عليه صدقة، كل يوم تطلع فيه الشمس: تعدل بين اثنين صدقة، وتعين الرجل في دابته فتحمله عليها، أو ترفع له عليها متاعه صدقة، والكلمة الطيبة صدقة، وبكل خطوة تمشيها إلى الصلاة صدقة وتميط الاذى عن الطريق صدقة»

فكل عمل يقوم على الحفاظ على محيط الانسان وبيئته،ويدفع عنه الاضرار وما قد يلحق صحته من أذى، يدعو إليه الشرع ويجازي عليه صاحبه. ويظهر ارتباط عقيدة الانسان بحفاظه على بيئته، من خلال ارتكاز العبادة والمعاملات والاخلاق على الايمان، ويشهد لذلك أن القرآن الكريم يقرن دائما بين العمل الصالح والايمان، منها قوله تعالى: (من عمل صالحا من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب) سورة غافر الآية:40 وغيرهذا كثير في القرآن الكريم.

إن الاسلام ينشد مجتمعا نظيفا طاهرا عفيفا، تسوده العفة في الافعال والاقوال، فطالبنا بالمحافظة على أنفسنا ومجتمعنا وبيئتنا، وألا نقوم بأي عمل أو يصدر منا أي تصرف يمكن أن يلحق الاذى والضرر بكل ذلك، ونكون قد أجرمنا في حق لارض التي استخلفنا فيها، وعمارتها لمصلحة الانسان.

أحكام النون الساكنة والتنوين

الأستاذ: مصطفى موهوبي

قاعدة همز القطع:

أما بالنسبة لهمز القطع فإن له قاعدة خاصة ينفرد بها ورش عن غيره وتسمى قاعدة النقل ، وهي أنه ينقل حركة الهمز الموجود في أول كلمة إلى الساكن الصحيح الموجود في آخر الكلمة التي قبلها مباشرة، وهكذا فإن النون الساكنة تصبح متحركة بحركة الهمز الذي يليها وذلك في حالة الانفصال ، وأما إذا اتصلت بالهمز في كلمة واحدة، فإنها تبقى على حالها أي ساكنة بدون تغيير كما الشأن بالنسبة لكلمة واحدة في القرآن كله وهي كلمة –ينئون– حيث بقيت النون على حالها بجوار الهمز.

الحركات	المثال		الكيفية	
	النون	التنوين	النون	التنوين
الفتح	من أهل	كفوًا أحد	منهل	كفوَنْ حدْ
الضم	فلن أكلم	تارة اخرى	فلن كلم	تارتن خرى
الكسر	من إله	طعام الا	من له	طعامن لا

4– الاخفاء:

الإظهار - الإخفاء

هو ضد البيان وفي اللغة هو الستر، أما في الاصطلاح فهو النطق بالنون الساكنة على كيفية بين الاظهار والإدغام مع مراعاة الغنة وذلك إذا جاء بعدها أحد الحروف الخمسة عشر المتبقية بعد حروف الأحكام الثلاثة السابقة، وتسمى هذه الحروف بحروف الإخفاء وهي مجموعة في أوائل كلمات هذا البيت:

صف ذا ثنا كم جاد شخص قد سما دم طيبا زد في تقى ضع ظلما

كيفيته: إذا وقع بعد النون الساكنة أحد هذه الحروف فإن النون تلفظ مسموعة من الأنف دون تحريك اللسان ولا تشديد حرف الاخفاء.

3– الاظهار:

لغة هو البيان والتوضيح، واصطلاحا إخراج كل حرف وتحقيقه من مخرجه أي النطق بالنون الساكنة وبحرف الاظهار وتحقيقها من مخرجهما مع مراعاة الفصل بينهما وإيضاح كل واحد منهما مع الاحتراس من الغنة في النون وذلك إذا جاء بعدها أحد حروف الحلق الستة –الهمزة، والهاء، العين، الحاء ، الغين والخاء– وتجمع حروف الاظهار هذه في أوائل الكلمات الآتية: أخي هالك علما حازه غير خاسر

ويدخل تحت هذا الحكم الكلمات الأربع المستثناة من قسم الإدغام بغنة حيث أن النون فيها تكون ظاهرة بغير غنة.

أمثلة تطبيقية:

الحرف	النـــــون		التنوين
	متصلة	منفصلة	
هـ	فلا تنهر	من هاد	سلام هي
ع	أنعمت	من عمل	لأجر عظيم
ح	وانحر	ومن حوله	عليما حكيما
غ	فسينغضون	من غل	عفوا غفورا
خ	والمنخنقة	من خفت	عليم خبير

صفحة الشباب

من إعداد عمر الريسوني

بسم الله الرحمن الرحيم

يقول الله تعالى: ﴿والذين آمنوا أشد حبا لله﴾ الآية

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

إخواني أخواتي:

سلام الله عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته. صفحة الشباب تجدد اللقاء معكم في حلة جديدة سبيلها طريق الإيمان الذي حببه الله تعالى لنا وزينه في قلوبنا والمؤمنون بربهم الذين أحبوا لقاء الله واستعدوا له وسعوا إليه وبذلوا جهدهم لتزكية نفوسهم وتطهيرها حتى يحققوا مفازتهم ويسعدوا في الدارين لقول الله عز وجل:

﴿وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون﴾. صدق الله العظيم

دعاء

اللهم إني أسألك إيمانا يباشر قلبي حتى أعلم أنه لا يصيبني إلا ما كتبت لي ورضني من العيش بما قسمت لي.

اللهم إنا نسألك موجبات رحمتك وعزائم مغفرتك والسلامة من كل إثم والغنيمة من كل بر والفوز بالجنة والنجاة من النار.

بطاقة إسلامية من استراليا

أستراليا مساحتها حوالي سبعة ملايين وستمائة واثنين وثمانين وثلاثمائة ألف كيلو متر مربع، اما سكانها فيبلغ عددهم حوالي مليون نسمة وينحدرون من عناصر وسلالات وأعراق وجنسيات مختلفة أبرزها:الانجلو ساكش، يليها الإيرلنديون، ثم الإيطاليون، ثم اليونانيون، ثم العرب والأتراك، بالإضافة إلى العشرات من جنسيات مختلفة...

ويوجد بها من الديانات: المسيحية، والإسلام، واليهودية، والبوذية، والهندوس...

ويبلغ عدد المسلمين450.000 أربعمائة وخمسين ألف نسمة، يمثل العرب والأتراك 80٪ من العدد الإجمالي،بالإضافة إلى الأعداد المتزايدة بين وقت وآخر، بسبب اعتناق الاستراليين، وغيرهم من جنسيات أخرى للدين الإسلامي الحنيف...

وتتكون استراليا من سبع ولايات .وقد شع نور الإسلام: في هذه القارة: في أوائل اكتشافها: عن طريق بعض المسلمين الأفغان الذين هاجروا إليها منذ عشرات السنين، ومعهم إبلهم القادرة على عبور أراضي استراليا الشاسعة. ولهذا كانت القيادة الانكليزية تستعين بهم ليساعدوهم في اكتشاف الأماكن المجهولة في هذه القارة المترامية الأطراف.

كان الأفغان يقودون هذه الجمال من مستعمرة بريطانية إلى أخرى..وهكذا كانت بداية الإسلام فيها، وكان من بين هؤلاء الأفغان سبعة مسلمين يرجع الفضل إليهم في دخول الإسلام إلى استراليا، حيث تكاثروا، وبنوا لأنفسهم مسجدا في –أدلايد– إحدى مدن جنوب استراليا.. واستقر المسلمون الأفغان بجمالهم في جنوب استراليا، وبنوا لهم قرى فيها، وزاد انتشارهم في القرن التاسع عشر، وكانوا دعاة إلى الدين الإسلامي :بالقدوة الحسنة والسلوك الحميد والمعاملة الطيبة، مع بيان محاسن الإسلام وتعاليمه وقيمه وآدابه..ولم يفتهم أن يقوموا بإنشاء العديد من المساجد والزوايا، لإقامة الصلاة،لاسيما في الولايات التي استوطنوا فيها، وأشهر المساجد القديمة وأكبرها:جامع مدينة "بيرث"وقد أسس عام 1805 وفيه يتجلى فن العمارة الإسلامية القديمة..

عين على المجتمع

دخلت إحدى مساجد العاصمة لأداء صلاة الظهر متأخرا بقليل فأخذ أحد الحراس يكفكف بيده وذلك من أجل الإسراع بالصلاة حتى أتمها وبعدها سيقفل باب المسجد، وبعد إتمامي للصلاة قلت للحارس :إن المساجد لله ، ولا يمكنك أن تنهى عبدا عن الصلاة بخشوع وطمأنينة ،فأجابني: معك حق ولكن هناك من يأتي بفراشه وينام في المسجد ،فقلت: لو ساهمنا في توعية الناس مافعلوا ذلك وهذه مسؤولية تقع على عاتق كل فرد مسلم، إذ ل، أحسنا العمل لأحسن الله جزاءنا.

وإنه حقا لشيء منكر أن تقفل أبواب مساجد الله في وجه العباد فقراء كانو أم أغنياء ولقد كان رسول الله ، صلى الله عليه وسلم، يعتكف في مساجد الله فكان العام الذي قبض فيه اعتكف عشرينا يوما.

الفحش وبذاء اللسان

يكثر في مجتمعنا السب والقذف فترى هناك من يسب الدين جهارا وآخرون يتفوهون بكلام نابي فيه ذكر الإله ،الوالدين. وترى الصغار وهم يتلفظون بكلام ذميم فاحش، مما يشكل عارا في جبين المجتمع مما يجعلنا نطالب المربين بالتنبيه إلى ذلك ومحاربته. فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم .ليس المؤمن بالطعان ولا اللعان ولا الفاحش ولا البذي– رواه الترمذي.

الدكتور طه عبد الرحمن يتماثل للشفاء

يتماثل الفيلسوف العربي والمفكر الاسلامي المغربي طه عبد الرحمن لشفاء الرحمن بعد أزمة قلبية حادة أدخل على إثرها إلى مستشفى ابن سينا بالرباط بعناية ملكية كريمة سامية خضع خلالها لفحوص متعددة وعلاج دقيق ومركز.

وأسرة ميثاق الرابطة تتمنى للأستاذ الكبير أستاذ الجليل وصاحب المؤلفات العلمية الكثيرة الصحة الجيدة والسلامة والعافية حتى يعود لأبحاثه القيمة في خدمة العلم والعلماء.

ميثاق الرابطة
جريدة أسبوعية شاملة
المدير المسؤول : الحاج أحمد ابن شقرون

مدير النشر: إدريس كرم
رئيس التحرير : محمد الخضر الريسوني
العدد 915
14 صفر 1421هـ - الموافق 18 ماي 2000م

السنة الثالثة والثلاثون
الثمن : 3 دراهم
رقم الإيداع القانوني : 160 / 1994

الاشتراكات السنوية داخل المغرب : مائة وخمسون درهما.
العنوان: 107 شارع فال ولد عمير. رقم : 7- أكدال- الرباط
الهاتف: 67.03.51 (07)
الفاكس: 67.03.51 (07)

الترقيم الدولي : ISSN : 4348
الحساب البنكي : 25201015549.01 وكالة بنك الوفاء- حي أكدال الرباط

تصفيف وإخراج وسحب: مطبعة فضالة- المحمدية- المغرب

في نظرية الأدب الإسلامي

من هو الأديب المسلم ؟

الأستاذ . رضوان ابن شقرون

كثيرا ما يثار لدى النقاد تساؤل حول ما إذا كان هناك ارتباط بين النص كعمل أدبي مستقل، وبين شخصية الأديب كمنتج لهذا النص الأدبي باعتباره عصاقر تجربته وخلاصة انفعاله؟ ومن ثمة يحتار الناقد بين أن يراعي في عملية مقاربة النص والحكم عليه وتقويمه وتقريبه إلى القارئ خلفيات الأديب المبدع ومكوناته الشخصية وتوجهاته الذاتية وتجاربه التي انفعل بها فأنجبت هذا النص، وبين أن لا يراعي شيئا من ذلك.

وهذا الإشكال نفسه يثار وربما بشكل أحد حينما يتعلق الأمر بمقاربة نص يفترض أنه يمكن تصنيفه في خانة الأدب الإسلامي، وأن صاحبه يمكن إدراجه في زمرة الأدباء الإسلاميين.

ولتذليل الأمر يبدو من الضروري تحديد الخصائص التي تميز الأديب المسلم عن غيره، وفي هذا الصدد يرى بعض رواد النقد الإسلامي الحديث أن تلك الخصائص تتلخص في العوامل الستة التالية:

الالتزام بالإسلام، والتمسك بتعاليم نبيه،وتنفيذأمر الله، وأن يكون صادقا، وأن يكون أمينا، وأن يكون موضوعيا في أدبه حتى مع أعدائه (د. عباس محجوب، مجلة الأمة عدد22 السنة2 شوال 1402 ص7).

وتأكيدا لذلك يثير بعض النقاد الآخرين جانب الأنماط السلوكية الخاصة لدى الاديب نفسه، باعتبار هذه الأنماط فاعلة إيجابا في تشكل النص الأدبي وتميزه. فبها يكون الأديب المسلم قويا أمام إغراء المال، لا يسرق أو يختلس، قويا أمام فتنة الشهوة وتحريض الجنس فلا يقع في الحرام ولا يترلق إلى الرذيلة، صامدا أمام بطش السلطة وإرهابها فلا يحني رأسه أمام الفساد والظلم وشراء الذمم، قويا في فقره حين يخرج إلى الحياة محتملا أعباءها ومشاقها في طلب الرزق الحلال؛ وبهذه الأنماط السلوكية الذاتية لدى الأديب المسلم يصير قدوة حسنة.(د. نجيب الكيلاني: مجلة الأمة عدد 24 السنة 2 ذوالحجة 1402 ص،14)

فالأديب المسلم، إذن، هو ذلك المبدع القوي في أدبه، الأمين في أداء رسالته – الأدب رسالة– وهو الصالح القدوة في الصلاح.إنه لا يهيم في كل ناد، ولا يكرع من أي واد، ولا يرتع إلا في مراتع الخير والحق، ولا يذيق القارئ إلا طعم الحب البريء الصادق والجمال العذب الصافي وما أكثر (الأدباء) الذين يرتعون في المجاري العفنة، ويكرعون من الخبيث الصدئ؛ تتغير عندهم المبادئ بتغير الآمال، وتتلون عندهم المبادئ بتعاقب الآلام، وتخضع عندهم المقاصد للظروف والتقلبات، وتتنوع لديهم المصالح بتلون المطامح والتطلعات.

ونقطة التخالف والتمفصل بين الأديب المسلم وغيره هي في مدى رعاية الأديب للمصلحة الإنسانية العليا، والسعي من أجل سعادة البشرية وكمالها، ونشر مبادئ الخير والسلام والوئام بين الراشدين الصالحين من أبنائها. ولا يكفي لتصنيف الأديب ضمن الاتجاه الإسلامي أن يبرع في نظم قصيدة أو كتابة قصة أو نسج خيوط مسرحية أو تحرير مقالة أو تأليف كتاب إذا كان هذا النص أو ذاك يحمل عناصر شر أو يدعو إلى رذيلة أو ينشر كراهية أو يجاهر بخلاعة وانحراف خلقي أو اجتماعي.. ولا يكفي، أيضا، أن تفوح كتاباته بمثاليات تناقض حقيقة خلقه، وتخالف ما يعرف الناس من انحرافه الخلقي والاجتماعي أو فساد عقيدته وشذوذ عقليته. فكثيرا ما ظهرت مشاعر الحب أو نزعات الخير أو معالي القيم عند أصحاب العقائد الفاسدة والمذاهب العفنة، وتردد ذلك في قصيدة رائعة المبنى أو قصة محبوكة العقدة أو مسرحية محكمة النسج أو مقالة مقنعة الأسلوب أو كتاب مطول الحجاج والجدال..لكن ذلك لا يعني بوجه إسلامية هذا الأدب ولا يعني بحال انتماء صحيحا لهذا الأديب إلى فئة الأدباء الحقيقيين الملتزمين، لأنه يفتقد الصفات الإسلامية التي يتميز صاحبها بالصدق والواقعية والالتزام.

يا ابنة الإسلام

رسالتي يا ابنة الاسلام والحسب
إليك من عقل أستاذ وقلب أب
فاستمسكي بعرا الإيمان وارتفعي

يا من هديت إلى الاسلام راضية
وما ارتضيت سوى منهاج خير نبي
إن الرذيلة داء شره خطر

يادرة حفظت بالأمس غالية
واليوم يبغونها للهو واللعب
صوني حياءك، صوني العرض، لاتهني

يا حرة قد أرادوا جعلها أمة
غربية العقل، لكن اللهم عربي
إن الحياء من الإيمان فاتخذي

هل يستوي من رسول الله فاغره
دوما، وأخر هاوية أبو لهب؟!
وبالقبح فتاة لا حياء لها

وأين من كانت الزهراء أسوتها
مهن تقفت خطى حمالة الحطب؟!
إن الحجاب الذي نبغيه مكرمة

أختاه لست ببنت الاجذور لها
ولست مقطوعة مجهولة النسب
نريد منها احتشاما، عفة، أدبا

أنت ابنة العرب والإسلام عشت به
في حضن أطهر أم من أعز أب
لاتحسبي أن الاسترجال مفخرة

فلا تبالي بما يلقوك من شبه
وعندك العقل إن تدعيه يستجب
ما بالأنوثة من عار لتنسلخي

سلية: من أنا؟ما أهلي؟ابن نسبي؟
للغرب أم أنا للاسلام والعرب؟
ولست قادرة أن تصبحي رجلا

ابن ولائي؟ ابن حبي؟ابن عملي؟
لله أم لدعاة الإثم والكذب؟
يا رب أنثى لها عزم، لها أدب

وما مكاني في دنيا تهوم بنا؟
في موضع الرأس أم في موضع الذنب؟
وإن هوى بك إبليس لمعصية

هما سبيلان يا أختاه مالهما
من ثالث، فاكسبي خيرا أو اكتسبي
بجمرة لك في الأشعار خاشعة

سبيل ربك، والقرآن منهجه
نور من الله لم يحجب ولم يغب
وخير ما يغسل العاصي مدامعه

في ركبه شرف الدنيا وعزتها
ويوم نبعث فيه خير منقلب
والدمع من تائب أنقى من السحب

بالنفس عن حمأة الفجار، واجتنبي
يعري ويبتر كالطاعون والجرب
وصابري، واصبري لله واحتسبي

منه حليك يا أختاه واحتجبي
وإن تحلت بغالي الماس والذهب
للكل حواء ما عابت ولم تعب

وهم يريدون منها قلة الأدب
فهو الهزيمة أو لون من الهرب
منها، وتسعي وراء الوهم في سرب

فطرة الله أولى منك بالغلب
فاقت رجالا بلا عزم ولا أدب؟
فأهلكيه بالاستغفار ينتحب

سجود معترف لله مقترب

نحو ثقافة بانية

بل هي فتنة

الدكتور : حسن الأمراني

﴿ألم تركيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها . ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون. ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض مالها من قرار﴾ سورة إبراهيم /الآية 14 /24-26.

ليس الغرض من هذا البحث تتبع كلمة ـ ثقافة ـ في مصادرها اللغوية، وأصولها التاريخية، كما ليس من أهدافه أن يذهب بعيدا في الموازنة بين المذاهب التي ترى أن ـ كل ثقافة معينة هي انعكاس من حيث شكل مفهومها لمجتمع معين، وتلك التي ترى ـ بصورة مجملة ـ أن الثقافة إنما هي ثمرة الفكر، أي ثمرة الانسان. فتلك أمور فرغت منها، أو كادت، جملة من الدراسات والأبحاث. وإنما هو محاولة لتأسيس معالم ـ ثقافة بانية ـ تخلف الثقافة السائدة التي يمكن تقسيمها إلى نوعين:

1 ـ ثقافة جامدة، وهي ثقافة لا تكاد تعي حاضرها، فضلا، عن أن تستشرف مستقبلها وهي تحاول أن تستمد وجودها ومشروعيتها من ـ التراث والأصالة ـ ولكن الأصالة في مفهومها تنحصر في أنه ليس في الامكان أبدع مما كان ـ ولذلك ينبغي العمل على تثبيت ماهو قائم، ومن هنا فهي تنظر إلى التراث نظرة قاتلة مميتة، حين تنظر إليه من زاوية سكونية ثابتة، وكأنها بذلك تحاول أن تجعل الماضي مهيمنا على الحاضر والمستقبل، دونما فقه للعناصر الثابتة، والعناصر المتغيرة.

2 ـ ثقافة منبتة وهي ثقافة تقوم على الانفعال أكثر مما تقوم على الفعل. وأول مظاهر الانفعال في هذه الثقافة أنها تبدو كرد فعل للثقافة الجامدة في موقفها من التراث، وفي فهمها للاصالة. وهي تتبنى في أحسن الفروض الموقف الانتقائي الترقيعي، وأخطر مظاهر انفعالها أنها تقف منبهرة أمام حضارة الغرب فهي تسعى جاهدة إلى (تغريب) أمتنا بدعوى أن النقلة الحضارية لا تتم، إلا عن طريق التغريب. وإذا كان الفعل الثقافي ضروريا وملحا في سبيل أية نهضة حضارية، فإنه يصبح أكثر ضرورة، وأشد إلحاحا، في عالم متغير مضطرب كعالمنا، وفي مجتمع متخلف يعيش شتى التناقضات كمجتمعنا، هذا المجتمع الجديد ـ القديم، فأنت تلمس هذا التخلف، وتراه رأي العين، في الميادين السياسية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية والخلقية، غير أننا في هذه المرحلة الحاسمة من تاريخ أمتنا، لسنا بحاجة إلى تغيير الهياكل السياسية والاجتماعية والاقتصادية، بقدر ما نحن بحاجة إلى تغيير ثقافي شامل، يمس وجدان الإنسان. إن تغيير خارطة وجدان الإنسان العربي المسلم، وتنقية هذا الوجدان مما أصابه من مسخ وتشويه هو المنطلق لإقلاع حضاري جديد.

والثقافة،عموما، ليست مرتبطة بجانب محدود من جوانب الحياة، بل هي متصلة بكل مجالات النشاط الانساني، من افكار وعادات وأخلاق وفنون. إنها كما يعرفها (تيلر)، ذلك الكل المعقد الذي ينطوي على المعرفة والعقائد والفن والاخلاق والقانون والعرف وغير ذلك من القدرات، وإذا أردنا أن نعرفها تعريفا يصلنا بمنشئها وأصولها، قلنا: «إنها المحيط الذي يعكس حضارة معيّنة، والذي يتحرك في نطاقه الإنسان المتحضر وهكذا نرى أن هذا التعريف يضم بين دفتيه فلسفة الإنسان، وفلسفة الجماعة، أي مقومات الإنسان ومقومات المجتمع مع أخذنا بعين الاعتبار ضرورة انسجام هذه المقومات، جميعا، في كيان واحد، تحدثه عملية التركيب التي تجريها الشرارة الروحية عندما يؤذن فجر الحضارات».

وفي ضوء الربط الوثيق بين الثقافة والحضارة ـ وهو ما يدعو إليه مالك بن نبي في بحثه ـ يرى أن الثقافة تصبح نظرية في السلوك، أكثر من أن تكون نظرية في المعرفة. ان الثقافة مالم تتحول إلى فعل أو تعمل على دفع الإنسان إلى الفعل، تفقد شرائط وجودها. وتصبح نوعا من الترف الفكري الذي يكبل الطاقات ويعوقها عن الانطلاق. إن الفعل الثقافي ينبغي أن ينمي في الإنسان، أساسا، نوازع البناء، وإذا شئت فقل: إن الفعل الثقافي، ككل فعل تغييري، ينبغي أن يشتمل على عنصري الهدم والبناء: هدم العناصر المظلمة التي تشد الإنسان إلى الحضيض وتعوقه عن الانطلاق، وبكلمة واحدة: هدم أسباب الهدى. وبناء العناصر المشرقة التي تدفع بالانسان إلى الحركة من أجل أن يسمو إلى مكانة التكريم الالهي ﴿واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها، فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين. ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه، فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث، ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا، فاقصص القصص لعلهم يتفكرون﴾ سورة الأعراف/ الآية: 176.175.

ولا شك أن كل ثقافة تظل خاضعة، من حيث المفاهيم المنبثقة عنها، للمحيط الذي توجد فيه، ولابد لهذا المحيط من مقومات أساسية يتشكل داخلها الفعل الثقافي، ويوزن بميزانها، ونستطيع توضيح هذا الذي نقول، بأن نضرب مثلا، بالمقارنة بين مظهرين من مظاهر واقعنا الحضاري، والواقع الحضاري الغربي. فالمتفرج الأوروبي بعامة، يفكر في جو من الحساسية الجمالية، بينما يفكر المتفرج المسلم في جو من الحساسية الاخلاقية، ومن أجل هذا لا يمكن أن يتشابه سلوكهما أمام المشهد الواحد.

فعندما يقتل عطيل ديد مونة في مسرحية شيكسبير ـ وينتحر، يبلغ انفعال المتفرج الاوروبي أوجه، لأن الدائرة التي يعيشها في تلك اللحظة دائرة جمالية. أليس يرى نهاية مخلوقين عجيبين؟ بينما يظل انفعال المتفرج المسلم هادئا، في هذا المشهد، لان دائرته أخلاقية، فهو يرى قاتلا ومنتحرا (!).

إن الثقافة السائدة، بشقيها، كفت عن أن تكون فاعلة، ونعني الفعل الايجابي البناء المنسجم مع الطموح الحضاري لامتنا، أي أن السطح الثقافي متحرك، ولكن الاغوار ساكنة. ويمكن أن يزداد هذا الامر وضوحا حين نستعرض بعض مظاهر هذه الأزمة.

وأدل تلك المظاهر، ذلك الانفصال المريع بين المثقفين والجماهير. فالمثقف الذي ما فتئ يتحدث عن الجماهير، وينادي بالالتزام، يحس في الواقع، بغربة حادة داخل مجتمعه. ذلك بأنه يشعر أن هناك قطيعة بينه وبين هذه الجماهير التي يكتب عنها وإليها. وهذه القطيعة ليست قطيعة لغوية فحسب، كما يتوهم بعض الناس، ولكنها قطيعة فكرية وسلوكية إن صح التعبير. فكأن للمثقف عالمين: عالما يعيش فيه منعزلا في أبراجه الثقافية مع زمرة من المثقفين، وعالما آخر قد يختلف اختلافا كبيرا، عن عالمه الأول، وهو عالم الناس. ومن هنا يمكن أن نلحظ للشخص نفسه سلوكين متباينين في حياته فتجده بالنهار ظرفيا ماديا، منضبطا، إذا مارس مهنة الطب، أو إذا مارس مهنة التدريس الجامعي، فهو مادي يكاد يهمل الغيب إهمالا تاما، ويتخذ الحياة بحسبانها نظاما تحركه القوانين المادية المنضبطة، وما يقبل عليه المساء حتى يقبل على شيخ من شيوخ الطرق، فيجلس إليه، ويستمع إلى الاوهام والخرافات فيصدقها أيما تصديق، ويحاول أن يستحضر روح والده ـ عليه رحمة الله ـ ويعيش في أوهامه، وهو مرتاح الضمير حتى يمسي عليه الليل فإذا حل الصباح لبس بذلته الجديدة، واتخذ شخصية (دكتور).. ليمارس بها مهنة الصباح.

ومن مظاهر هذه الازمة، أيضا، غياب النظرة الشمولية، وسيادة النظرة الجزئية، أي أن المثقف عندنا عاجز عن التسامي إلى إدراك التصور الشمولي المنسجم المتناغم، الواصل بين الغيب وعالم الشهادة. بل هو يعجز ـ حتى في حياته الدنيا ـ عن أن يكتسب نظرة شمولية للحياة، فتراه يحاول تفسير الأحداث والوقائع، اعتمادا على الجانب الاجتماعي، أو الاقتصادي، أو النفسي أو اللغوي أحيانا، دون أن يرقى إلى إدراك الآثار السلبية أو الايجابية، التي يمكن أن تحدثها هذه العوامل جميعا أو أشتاتا، وهذا القصور في التوفيق بين العناصر المختلفة، هو الذي أفضى إلى تمزق المثقف بين الثقافات الواردة، وهي بطبيعتها ثقافات متعددة ومتنوعة، ولكنها، أيضا، متباينة، بل ومتناقضة في كثير من الاحيان وهذا التمزق ناجم أصلا عن عدم وجود قاعدة ثقافية ذاتية حصينة تمكن من الفهم العميق لمفهوم (تعايش الثقافات) كما يسميها مالك بن نبي، أو حوار الحضارات بتعبير روجيه غارودي.

ويرتبط أشد الارتباط بما نحن فيه، الركون إلى الواقع، والاستسلام للاهواء، وقبول ماهو كائن، بدعوى الواقعية أو ليس في الامكان أبدع مما كان، ومن هنا سادت النزعة التبريرية الانهزامية، فكرا وسلوكا، والوجه الآخر لهذه النزعة، هو الرفض المجاني الذي لا يعرف ما يريد، أي محاولة قهر الواقع عن طريق الارتكاس في جملة من الشعارات الفارغة فكرا، والانغماس في ملذات الحياة الدنيا سلوكا.

وإذا كانت تلك بعض مظاهر الأزمة، فإن من أخطر نتائجها، ما أصاب الأمة من عقم، وشعور بالخيبة والمرارة، واختلاط القيم والموازين، ولاشك أن انعدام القاعدة الثقافية الذاتية الصلبة، هو الذي جعل ساحتنا الثقافية تهب عليها رياح الشرق والغرب، فتظل عاجزة عن التمييز بين اللواقح منها، وبين الريح المدمرة، وهكذا جربنا في أقل من نصف قرن من الزمان، كل المذاهب الفكرية الوافدة، بل لقد ساد عالمنا العربي، أكثر من اتجاه فكري وأكثر من مذهب فلسفي، في فترة زمنية واحدة، وهكذا عرفنا الوجودية باتجاهاتها. وبخاصة الاتجاه السارتري الذي تبنته بعض المنابر الثقافية وتعهدته بعض دور النشر العربية. بالترجمة والنشر والتوزيع، وعرفنا العبثية،ووجدنا في أسطورة سيزيف ما يروي ظمأنا في هذا المجال، وحلت الماركسية تتبعها الوافعية الاشتراكية، وأصبحنا نجمع، لا في مكتباتنا فحسب، بل في وجداننا أيضا، بين ماركس وسارتر وكامو وموكوز وكافكا وشتراوش، دون أن نشعر بفقدان التوازن.

لقد أضحى العالم العربي والاسلامي، فترة من الزمن حقل تجارب، سياسيا وثقافيا، وارتبطت الثقافة السائدة، بشقيها، بالانظمة السياسية القائمة، فكانت نكبة 1948م إيذانا بإخفاق الثقافة الليبرالية اليمينية، كما كشفت كارثة 1967م عن خواء الاتجاه الماركسي اليساري.

إن اليسار ـ من حيث يدري أو لا يدري قد صرح معلنا انسلاخه الحضاري عن هذه الأمة، عندما نادى بالمادية والعلمانية ورفض الغيب منهجا للحياة، مع التصور المشوش الذي يخلط بين مفهوم الغيب ـ كمعرفة يقينية كما هو في التصور الاسلامي، وبين الطوباوية والمثالية، والضبابية المفضية سبلها إلى التيه، وحكم هذا الاتجاه على نفسه لذلك، بالافلاس، وبناء سد منيع بينه وبين جماهير أمتنا التي ماتزال ـ رغم الغبش الذي ران زمنا على ضمائرها تحمل في وجدانها التاريخي صفاء جبارا، يحتاج إلى من يكشف عنه الحجب لينطلق في طريق البناء الحضاري العظيم. لقد ألح القرآن الكريم على أن الساحة التاريخية، لها سنن ولها ضوابط، كما يكون هناك سنن وضوابط لكل الساحات الكونية الأخرى. ومن هنا قاوم النظرة العفوية أو النظرة الغيبية الاستسلامية في تفسير الأحداث، حين نبه إلى أنه لابد لك أن تتعرف على هذه القوانين لكي تستطيع أن تتحكم فيها، وإلا تحكمت هي فيك وأنت مغمض العينين، غير أنه ألح على الايمان بالغيب، سبيلا وحيدا،لادراك مافوق الواقع المحدود.

وإذا كان ذلك هو موقف اليسار، فإن اليمين ـ سياسيا وثقافيا ـ قد اتخذ وسيلة خطيرة من أجل ضرب هذه الأمة، وتعطيل طاقاتها، وشل إقلاعها الحضاري المرتقب. ذلك أن اليمين السياسي، كما يقول د. عبد الله النفيسي، يريد أن يجعل من العمل السياسي ومؤسساته وصحفه ومجلاته ومنظماته الطلابية وسيلة لتكريس أوضاعه السياسية المنحرفة تحت شعار التصدي لليسار الدولي.. وقد نجح اليمين السياسي ـ سليل المنافقين ـ لفترة غير قصيرة، في توظيف الدعوة إلى الاسلام، لتكريس أوضاعه السياسية المنحرفة، في غفلة عن الدعاة.

ويشعر كل من اليمين واليسار، في كثير من الأحيان أن الأرض التي يقفان عليها مهزوزة رخوة، ومن هنا لم يكن غريبا أن يبحث اليمين عن وسائل تعطيه حق المعاصرة، وحق البقاء والاستمرار، فيقع في تناقض رهيب، وفهم سقيم وتحريف للكلم عن مواضعه، كما لم يكن غريبا أن يبحث اليسار لنفسه عن سند من التراث يتكئ عليه، فلا نجد غير بؤس وعقم شديدين. ■

تأملات في خلق السماوات والأرض

إشراف: نجيبة أغرابي

الرجل والمرأة: أولا بأول

الدكتور: محمد الوكيلي

- ﴿يأيها الناس إنا خلقناكم من نفس واحدة وجعلنا منها زوجها﴾. صدق الله العظيم

إن الله، عز وجل، لحكمة يعلمها، جلت حكمته وجل علمه، خلق أول ما خلق من الانس، آدم، عليه السلام، فكان آدم بحق أب الانسانية جمعاء. ويعلم الحق، عز وجل، وحده كم مضى على مخلوقه الانساني الأول من الدهر قبل أن تقضي حكمته ومشيئته خلق صنو لهذا الانسان من ذاته ونفسه، ليس بطريق القسمة، ولا بأسلوب التحول المرحلي، وإنما بواسطة- الجعل- الذي يعني الانبثاق التلقائي كما تنبثق الخلية الجديدة من الخلية الأم لتصبحا خليتين اثنتين.

لقد كان آدم،عليه السلام، إذن، صاحب سبق. في الخلقة على زوجه، ومن ثم فإن قيام تماثل بين الاثنين لا يكون واردا من الأساس، بسبب هذا السبق. هذا من جهة، ومن جهة ثانية، يكون ذلك التماثل مستحيلا بسبب طبيعة الخلقتين : الأولى من طين، والثانية من صميم الأولى، أي من بدنها ونفسها وعقلها، وبسبب طبيعة التكوينين: الأولى من الذكورة الإيجابية، والثانية من الأنوثة السلبية.

إن آدم وزوجه في بداية خلقتهما، وكذلك الشأن في كل العصور والدهور اللاحقة، كان بعضهما لبعض كالنهار بالنسبة إلى الليل: فالنهار موجب لأنه فضاء للحركة والكسب والكد، والليل سالب لأنه للسبات والراحة واستعادة القوى متجددة رائقة. ولذلك فلا فضل لأحدهما على الآخر من هذا الجانب، نقصد جانب الوظائف والمهام والصلاحيات، بمثل عدم تفاضل النهار والليل، إذا لكل منهما وظائفه وخصائصه وخصوصياته، وإنما يكمل الأول الثاني، ويتبادل معه علاقة التداخل والتمازج والوحدة، فكما أن النهار مع اختلافه عن الليل يلج أحدهما الآخر ويتداخل معه ويتكامل داخل المنظومة الزمنية التي يشكلها اليوم، فإن الرجل والمرأة يختلفان طبيعة وتكوينا وعقلية لسيادة العنصر الذكوري في الأول والأنثوي في الثاني، ولكنهما لإحساس فطري لديهما بالحاجة إلى بعضهما يتداخلان عاطفيا وفكريا ونفسيا، مما نتجت عنه الحاجة إلى التداخل و-التلابس- الجسديين من أجل الحفاظ على النوع والبقاء إلى ما شاء الحق جل جلاله.

إن قولنا : إن الرجل يرمز إلى الموجب أو القوة الموجبة، وإن المرأة ترمز إلى القوة السالبة، ليس لإثبات علو في مرتبة الرجل مقابل انحدار في جهة المرأة، وإنما لأن الموجب هو طالب والسالب هو المطلوب في عملية التداخل والتكامل المنوه عنها، ولأن الرجل كان، دائما، طالب الأنيس والرفيق والخليل قبل حتى أن ينفصل هذا الطرف الثاني عنه بواسطة - الجعل- و-الانبثاق- اللذين حدثا انطلاقا من مجموع كيانه بدنا ونفسا وعقلا كما سبقت الاشارة...وتلك سنة الله التي لا تبديل لها، ولا يسأل الحق،عز وجل، عنها، وهو المنزه سبحانه وتعالى على المساءلة.

يفهم من هذه العلاقة الخلقية- بجزم اللام- والفطرية والطبيعية بين الرجل والمرأة، أن القول بتماثل الطرفين لا أساس له ولا أصل في الدين، ولا في منطق الأشياء، أو في حكم العقل والفكر الانسانيين الخارجيين عن نطاق سلطان إبليس وشيطنته القاعدة لبني آدم كل مقعد.

ويفهم منه، أيضا، وبتحصيل الحاصل، أن أي قول بالتماثل أو بالمساواة التامة غير وارد إلا في نطاق إملاءات الشيطان وقبيله وجنده، من الجن والانس، مهما أحيط بهذا القول من الزخارف اللفظية، ومن الصيغ البلاغية المنمقة، ومن الشعارات المتلبسة بلباس الحق بينما لا يراد بها إلا باطل!

سيقول قائل: إن هذا الطرح ما هو إلا نتاج فكر اجتماعي رجولي أو ذكوري متعارف عليه بشكل مقصود، ونتاج لذكورية سادت على امتداد الحقب وتغلغلت في كل ميادين الحياة حتى لم تترك للفكر الأنثوي فرصة ليفصح عن ذاته وعن ملكاته وقدراته ومواهبه.

وسيكون الجواب على هذا القول بكل تأكيد : إن العكس هو الصحيح، تماما، فالفكر الجمعي والنمط الاجتماعي الذكوري لم يقوما، أساسا، إلا على أركان الخلقة الفطرية والطبيعية الخالصة لكل من الذكر والأنثى، ولذلك فما يسميه القائل - ذكورية سائدة وجائرة ومستبدة- ماهو في حقيقته سوى النتيجة الطبيعية لتلك الخلقة الأولى، ولذلك الاختلاف الفطري في الكيانين، المتكاملين والمتداخلين والمتلابسين بالفطرة، للرجل والمرأة... كما أن معظم الرجال يتعامل مع هذه الفوارق بصورة استبدادية لنقص في فهمهم ولظلمهم المقصود أو غير المقصود. فلنتأمل مظاهر وبواطن هذا الاختلاف كما هي في أساسها وأصلها الفطريين ولنر ما سنخلص إليه من جراء هذه العملية:

1 - إن الرجل، الذكر - آدم- هو الذي قدم لمجيء المرأة، وأعطى - بمشيئة الله لا بمشيئته هو - الحياة والكينونة لهذه المرأة، بحيث كان تكوينه-الأول- أساسا وقاعدة ونواة لتكوينها، التالي، والذي لم يحدث من لا شيء، ولا طين عطن كما هو الشأن بالنسبة لآدم - عليه السلام- وإنما من مكونات هذا الأخير المادية والمعنوية- الروحية، الجدانية، النفسية، العقلية...- ولأجل إثبات هذه الحقيقة في كل مراحل الحياة الأرضية، ظل الرجال، الذكر - آدم المتجدد- هو المصدر الوحيد للنسل الجديد، وظل صلبه بمثابة المؤسسة الطبيعة المنتجة لبذور هذا النسل، بينما ظلت المرأة، الأنثى - حواء المتجددة- وعاء لاستقبال الجديد ومؤسسة لاحتضانه في المرحلة الجنينية، ثم لاستكمال تكوينه خارج الرحم عن طريق الرضاعة وفي ظل إحساس غامر بالحتضان وبالأمومة يستحيل أن يوجد مثيل له عند الرجل. وهذا عين الاحساس الذي تقوم عليه مراحل التنشئة الأولى للمولود الجديد في حضن أمه قبل كنف والده.

هانحن على صعيد الخلقة الأولى، وعملية التناسل، دون الحديث عن ميكانيزمات هذه العملية لعدم ورود الحاجة إلى ذلك، بإزاء تكوينين مختلفين تماما، ووظيفتين متباينتين، ولكنها معا، في حالة التكوين، وفي حالة الاختصاص، متكاملين تمام التكامل.

2- إن الفرق روحيا ونفسيا وعقليا بين الرجل والمرأة، واضح كل الوضوح، ولا يحتاج إلى أدلة بقدر احتياجه إلى قليل من الفهم والتفهم.

فالفطرة قد اقتضت أن يكون للرجل ميل فطري طبيعي، غير مكتسب، إلى السيادة والقيادة وإلى القيام بوظائف الإعالة والحماية والدفاع عن الحوض بدءا بالدفاع عن الزوج -المرأة- دونما التحاق بمدرسة أو معهد أو مركز للتكوين المهني في هذه المجالات!

والفطرة ذاتها، اقتضت أن تتحلى المرأة بمزايا مخالفة تماما، فيها من الضعف المحبوب والمطلوب- اللطف والدعة- ومن الدلال والغنج، ومن الاستعداد الفطري للقيام بدور - المنفعل-لا- الفاعل- في الجزء الأعظم من مهام الحياة ومسؤولياتها، فضلا عن كونها خزان الرحمة والمحبة والرقة والعطف الأمومي الذي لا يضاهيه ما لدى الرجل من هذه المشاعر.

إن التاريخ الإنساني لم يسر أبدا بالمقلوب، أو، في الاتجاه المعاكس للوجهة التي كان ينبغي، دائما، أن يسير إليها. ولذلك فإن ما نشهده من سيادة للعنصر الذكوري في مجالات معينة، وللعنصر الأنوثي في مجالات أخرى مغايرة لم يصطنعها أحد اصطناعا، ولم يحبك هذا الظرف أو ذاك نسيجها البالغ أقصى حدود التلقائية والجبلية. وقد رأينا أنه حتى في الحالات التي حاول الإنسان فيها اصطناع أنظمة اجتماعية لأنسجة اجتماعية مخالفة لمقتضيات الطبيعة والفطرة، فإنه لم يلبث أن وجد نفسه بإزاء طريق مسدود، ولم يلبث بالتالي أن عاد أدراجه إلى رحاب النظام الطبيعي الأساس شاء ذلك أم أباه. وهذا بالذات ما نجد له مثالا بالغ الجلاء في اعتماد الإنسان في فترة من فترات تاريخه البالي على نظام المجتمع الأمومي، كما هو الشأن لدى فصائل حيوانية غير قليلة، ربما تأسيا بعالم الحيوان، ولكنه أمام ضغط الإكراهات اليومية الطبيعية، ومتطلبات الحياة السليمة غير المتكلفة، اضطر إلى مراجعة حساباته والعودة إلى النبع الأول، الذي أشرنا إليه أعلاه، وبتوجيه وتسديد ومباركة من النصوص المنزلة التي كان الحق،عز وجل، يمد بها الإنسان تباعا على أيدي أنبيائه ورسله وأوليائه من المصلحين.

إن عالم الحيوان في وسعه أن يقوم على نمط تنظيمي من قبيل النمط الأمومي لأن هذا العالم لا يعرف مشكلة اسمها مشكلة الانتساب والنسب، ولكن المجتمع الإنساني في حاجة إلى النظام الذكوري فضلا عن كونه طبيعيا وفطريا- كما سبقت الإشارة- من أجل إثبات الحل الطبيعي والمنطقي والمشروع لهذه المشكلة ذاتها ، وحتى يعرف كل امرئ أباه ونسبه ومحتده... الشئ الذي كان متعذرا بل مستحيلا في ظل النظام الأمومي، وفي نطاق التسيد الكامل للمرأة مقابل ذوبان الرجل ودونيته.

فهل يقبل المجتمع الانساني رجالا ونساء قيام أجيال تعرف أمهاتها ولا يعرف آباؤها وأنسابها؟ بالقطع لا، ولا نعتقد بوجود امرأة، أنثى بكل معنى الكلمة، في وسعها أن تقبل هذا أو أن تغض الطرف عنه مهما اختلط الحابل بالنابل داخل الأنسجة الاجتماعية الممكنة والمحتملة، ومهما صيغ من العلل والتبريرات لتمرير هذا الخلل الذي لا يجد له -أساسا- في الفطرة، ولا في الغريزة، ولا في تكوين الإنسان وطبيعته وفي منطق تفكيره وسلوكه.

3- إن الجانب البيولوجي لمعادلة- الرجل = المرأة- يرفض هو الآخر أن يقبل بصحة هذه المعادلة وبصوابها، ذلك أن البحث العلمي أثبت منذ أواخر القرن التاسع عشر وجود فوارق كثيرة ومتنوعة على الصعيد البيولوجي وحده بين الذكر والأنثى : على صعيد الهرمونات أولا، ثم على صعيد الجينات الوراثية، وعلى مستوى تركيبة الخلايا في أدق جزئياتها - وجود خلايا معينة لدى الرجل دون المرأة والعكس، تكون وراء ظهور الفارق الجسدي والعضوي.. وعلى صعيد الدماغ وتفاصيله الأكثر صغرا ودقة، فضلا عن الفروق القائمة على مستوى الأحماض والمحاليل الكيماوية التي تفرزها الغدد وتتأثر لها أدق الشعيرات الدموية والعصبية، وينفعل لها العقل تفكيرا وسلوكا، وكذلك- الأنا- في تجلياتها المختلفة.

يكفينا هذا القدر، إذن، ولنكتف بالقول بعده، إن هناك، بطبيعة الحال، استثناءات قليلة، بل نادرة، تكون المرأة فيها مترجلة، ويكون الرجل في ظلها مخنثا، ولكنها حالات مبررة ومعللة من وجهة النظر العلمية،وراجعة إلى اختلالات في الهرمونات، أو في إفرازات بعض الغدد، أو في البنية والتركيبة الجسدية التي لها هي الأخرى آثارها الواضحة على نفسية المرء المعني وعلى فكره وسلوكه.

إن الدين الاسلامي قد قضى بأمر الله تعالى بوجود مساواة بين الرجل والمرأة في الحقوق والواجبات، ليس بمعنى التماثل في هذين المجالين- مجال الحقوق ومجال الواجبات- وإنما بالمفهوم الدال على تحملهما بالتساوي مسؤوليات ما يصدر عنهما إزاء الحق، عز وجل، أوامره ونواهيه وإزاء غيرهما من المخلوقات بدءا ببني جنسهما، من النوايا والأفعال ومن الآثار والعواقب الناجمة عن هذه الأخيرة، فضلا عن تساويهما دون تطابقهما في حجم المسؤوليات الملقاة على كليهما كل حسب طبيعته وتكوينه وقدراته. أما أن يفهم من هذه المساواة المشروعة ما يجعلها في حكم التماثل والتطابق، أو سبيلا إلى اقتسام كل الوظائف وبالتالي كل النتائج- كما يقول الشعار الزائف- نحن نتقاسم الأرض، فلنتقاسم خيراتها- فإن ذلك لا يمكن أن يدل إلا على خبل في التفكير، وضيق في الفهم، بل على نية خبيثة مسبقة ترمي إلى تغيير خلق الله، وإلى جعل العلاقة بين الذكر والأنثى علاقة الند للند، أو العدو للعدو، وليس كما أرادها البارئ، جل علمه وجلت إرادته، علاقة تساكن وتلابس تحكمها المودة والرحمة وينتج عنها التكامل و الوحدة... هدانا الله جميعا إلى صراطه المستقيم.

■

الدين والحياة

كيف عالج الإسلام ظاهرة الفقر واهتم بشؤون المستضعفين

الأستاذ: محمد القاضي
عضو رابطة علماء المغرب/فرع الرباط

تعتبر ظاهرة الفقر من الظواهر المريبة التي أرقت الضمائر وأحارت الأذهان، وأنهكت أجسام الفقراء من بني الإنسان، في كل الشعوب والأوطان، على مر العصور والأزمان، ولم يسلم من جحيمها أي بلد من البلدان.

وقد تجند المغاربة قاطبة في الشهور القليلة الماضية لخوض معركة النصر ضد الفقر والحرمان، بقيادة فارس الفرسان، وملك الشجعان مولانا محمد السادس سليل دوحة النبي المصطفى العدنان، وماحققته هذه الحملة وسابقتها من نجاح باهر لأقوى دليل، وأسطع برهان، على أن الشعب المغربي شعب متراص البنيان، مؤمن بضرورة التضامن من أجل اجتثاث أصول الفقر والحرمان، ومذعن غاية الإذعان لرسالة القرآن الداعية إلى التعاون على البر والتقوى وعدم التعاون على الإثم والعدوان، قال تعالى: ﴿وتعاونوا على البر والتقوى ولاتعاونوا على الإثم والعدوان﴾.

فالإسلام دين التضامن والتكافل، وهو يدعو أتباعه ليكونوا متآخين غير متفرقين، متعاونين متآزرين، متحابين غير متباغضين، حتى يكونوا مجتمعا قويا متراصا بأفراده، يعز فيه الضعيف والمعدوم، ويكرم فيه الفقير والمحروم ولا يشعر أحد من أفراده بأنه مظلوم، أو في حق من حقوقه مهضوم، فتتحقق بذلك الأخوة الإسلامية الكاملة التي وصف الحق سبحانه وتعالى بها عباده المومنين بقوله: ﴿إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون﴾.

والشريعة الإسلامية إنما جاءت لجلب سعادة الآدميين في الدنيا والدين، وحماية حقوقهم ومصالحهم أجمعين، وخاصة منهم المستضعفين، بحيث اهتمت بشؤون الفقراء والمعوزين، والأرامل والمسنين، واليتامى والمشردين، الأسوياء منهم والمعاقين، وسبقت بذلك جمعيات المتشدقين بحقوق الإنسان من الغربيين بمئات السنين، فشرعت من أجل هؤلا المستضعفين مابه يستقيم حالهم وتتحسن أوضاعهم، ويعيشوا بين إخوانهم معززين مكرمين، فشجعت على الإنفاق في سبيل الله وضاعفت أجر المنفقين، قال الله تعالى: ﴿وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف إليكم....﴾ سورة الانفال/الآية: 60. وقال تعالى: ﴿مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم﴾ سورة البقرة/الآية:261. وقال تعالى أيضا: ﴿ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضات الله وتثبيتا من أنفسهم كمثل جنة بربوة أصابها وابل فآتت أكلها ضعفين فإن لم يصبها وابل فطل والله بما تعملون بصير﴾ سورة البقرة/الآية:265. كما نهت الشريعةعن التبذير ووبخت المبذرين، لما يترتب عن ذلك من إهدار لحقوق المساكين ،قال الله تعالى: (ولاتبذر تبذيرا إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين...)ولمصلحتهم شرعت الكفارات والنذر وسنت صدقة الفطر لتكون طهرة للصائم وطعمة للمسكين، ومن أجلهم كذلك شرعت الزكاة وجعلت ركنا أساسيا من أركان هذا الدين، ودعامة قوية من دعائم بنيانه المتين، وبالزكاةوحدها يمكن القضاء على آفة الفقر اللعين، إذا أدى كل من وجبت عليه الزكاة حق المساكين ودفعه لأصحابه من المستحقين، وسعى جادا لإخراجهم من بوتقة المعدومين المتسولين إلى عالم المحسنين المتصدقين، ومن عالم المستهلكين الجامدين إلى عالم المنتجين المجدين، واضعا نصب عينيه المقصد الشرعي الذي شرعت من أجله الزكاة وهو عدم إبقاء المال منحصرا بيد فئة من الأغنياء يتداولونه فيما بينهم، ولايشركون في ترويجه واستثماره أحدا غيرهم، معتقدين أن حق الاستخلاف في مال الله إنما هو لهم وحدهم دون سواهم، مكرسين بذلك مفهوم الطبيقة الجاهلية ومحدثين في المجتمعات طبقتين متعارضتين:واحدة تملك مالا وافرا وكنزا طائلا وأخرى تفتقر إليهما افتقارا متأصلا.والزكاة إنما شرعت لتحقيق التوازن في تداول المال، وحماية الاقتصاد من التدهور والاختلال، فاتحة بذلك المجال للفقير المستحق للزكاة ليصبح بدوره دافعا لها ومكلفا بها وعليه فكل غني وجبت عليه الزكاة في ماله أو حرثه، هو مطالب بإنقاذ فقير على الأقل من فقره، وانتشاله من بحر غمه، ورفعه الى مستوى الأغنياء بتمكينه من حقه، وإخلاص النصح له في كيفية ترويجه واستثماره، وبهذا يتم تقليص عدد الفقراء، ورفع عدد الأغنياء، فيصبح فقير الأمس غنيا بفضل التعاون والإخاء، وغني الأمس تزداد ثرواته بفضل البركة والنماء.

وإذا كان الاسلام قد اعتنى بالجانب المادي للفقير وهيأ له من الأسباب مابه يرفع عنه الضيق والتقتير،ويجلب له النفع والتيسير، فإنه موازاة مع ذلك اهتم بجانبه المعنوي اهتماما منقطع النظير، بحيث نهى سبحانه وتعالى في غير ما آيه عن مايمكن أن يلحقه من بعض منعدمي الأخلاق والضمير، من من أو أذى، أو سخرية أو تحقير، فقال تعالى مخاطبا هؤلاء على سبيل النهي والتذكير:(لايسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم، ولانساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن)كما نهى سبحانه وتعالى عن المن والأذى الذي قد يلحق بعض المتصدق عليهم من طرف بعض المتصدقين المرائين فقال سبحانه وتعالى وهو أصدق القائلين: ﴿ياأيها الذين آمنوا لاتبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى كالذي ينفق ماله رئاء الناس ولايومن بالله واليوم الآخر، فمثله كمثل صفوان عليه تراب فأصابه وابل فتركه صلدا﴾ فحكم سبحانه وتعالى على صدقة المرائين بالبطلان، وعلى زرعهم المزروع على غير وجهه بالخسران.

كما جعل سبحانه وتعالى الكلمة الطيبة والقول الحسن خيرا من صدقة متبوعة بأذى فقال عز من قائل: ﴿قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى﴾

كما أن تنصيصه عز وجل على كلمة «حق» في قوله تعالى: ﴿والذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم﴾ وقوله تعالى: ﴿وآتوا حقه يوم حصاده﴾ يبين بجلاء أن الزكاة إنما هي حق شرعي للفقراء في أموال الأغنياء، وليس هبة يستحق واهبها عليها الثناء، ولاصدقة عادية يتكلف طالبها الاستعطاف والبكاء...

وبهذا يكون الإسلام قد كرم مستحق الزكاة ورفع من شأنه، وخلصه من عقدة الشعور بالدونية، وجعله يشعر وهو يتسلمها ممن وجبت عليه بالعزة والكرامة، لأنه إنما يأخذ حقه الشرعي من مال ذلك الغني. والأمثلة على تكريم الله للإنسان بوجه عام، والمستضعفين منهم بوجه خاص، كثيرة في القرآن، لايملك المتأمل فيها بدقة وتدبر وإمعان، إلا أن يسلم بأن الإسلام دين التنمية الاجتماعية الحقة وحقوق الانسان، وهو الدين الوحيد الذي فيه حقوق المرء كاملة تصان،وكرامته أبدا لاتداس ولاتهان، ولايشعر المنتفيء في ظلال أحكامه بأي ظلم أو عدوان، أو ذل أو هوان، أو نقص أو حرمان، فهو دين ختم الله به سائر الأديان، وجعله صالحا لكل زمان ومكان، وما من مشكلة حارت في حلها العقول والأذهان، إلا وحلها مبسوط بجلاء في محكم القرآن أو مفسر ومبين في السنة غاية التفسير والبيان.

فهو بحق دين هداية لكل حيران، ودين دعوة إلى البر والإحسان، وبتطبيق أحكامه يسود السلم والطمأنينة والأمان. ■

العنف ظاهرة غربية أيضا

الدكتور
حسن عزوزي
(فاس)

دأب الباحثون والخبراء وصناع القرار السياسي الغربيون على إلصاق تهمة الإرهاب بالإسلام والمسلمين، وأفرزت أحداث العنف التي شهدتها منطقة الشرق الأوسط وبعض البلاد العربية في السنوات الأخيرة مزيدا من الاتهامات والإسقاطات التي تجعل من دعوى " الارهاب الإسلامي "ورقة رابحة تسخر في أكثر من واجهة مصلحية تحقق بها دعايات سياسية وضغوط اقتصادية قد لا تظهر معالمها بجلاء للعيان، ولعل أكثرها وضوحا إذكاء سياسة التخويف والترويع من الإسلام، لقد بات من المألوف أن تتجه أصابع الاتهام- كلما حدث حادث عنف أو إرهاب - إلى المسلمين والعرب-!-وأصبح يخيل إلينا أن الآلة الإعلامية الغربية قد سطرت مسبقا- شكل بديهي - تورط المسلمين في كل تفجير أو تدمير يستهدف المصالح الأوروبية أو الأمريكية في العالم، إنها عقدة أصابت الغرب وأفقدته كل ثقة أو اطمئنان إلى مايرتبط بالإسلام والمسلمين.

إن التحيز الإعلامي الغربي الصارخ ضد المسلمين قد بات واضحا للعيان، وإن انصراف أذهان الغربيين إلى اتهام الدين الإسلامي قد أصبح نتيجة طبيعية لذلك، فالعقلية الغربية بصفة عامة، لا تزال تطفح بجهاز من الأحكام المسبقة والمقولات السلبية والاسقاطات الخاطئة، وليس من السهل العمل على تبديدها أو بيان مدى تهافتها وبطلانها، كما أن محاولة نفي التهمة عن الإسلام قد لا يبدو أمرا سائغا ومقبولا لدى القوم بمجرد أن نبرهن لهم على أن قرآننا الكريم لا يشتمل - كما يزعمون - على أدنى بذور أو مقومات الدعوة إلى شكل من أشكال العنف، وان فيه بالمقابل مايدعو إلى عكس ذلك من التسامح وعدم الاعتداء والدعوة إلى السلم والتعايش قال الله تعالى:- وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل عى الله- 2-. وقال سبحانه:-وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين-

ويبدو أن من وسائل وسبل نفي التهمة- جريا على منطق الغربيين- التذكير ببعض مظاهر العنف والإرهاب التي يقترفها أبناء جلدتهم داخل أوطانهم، وفي إطار الفضاء الغربي ذاته، حتى لقد أصبح بروز تيارات التعصب والغلو والعنف من أبرز سمات المجتمع الغربي في الآونة الأخيرة، فحادث:أو كلاهما الذي وقع في شهر أبريل من عام 1995 بالولايات المتحدة الأمريكية قدأبان عن حقيقة تتجلى في أنه بعد تبرئة ساحة الطرف الإسلامي وتبين عدم تورطه في الحادث ظهر بوضوح ان العنف والإرهاب تتبناه، أيضا، فئات من المجتمع الغربي. ولسنا بحاجة إلى التذكير بما تقوم به منظمة الجيش الجمهوري الايرلندي الكاثوليكية من أعمال العنف داخل بريطانيا وكذا منظمة الباسك باسبانيا وغير ذلك. ويحلو لكثير من السياسيين الغربيين أن يتهموا المسلمين بالميل الشديد نحو العنف والغلو الناتج عن شدة التمسك والتشبث بتعاليم الإسلام " المتشددة" كما يدعون، وهذا الاتهام الذي ليس له أدنى أساس من الصحة يمكن دروه ورده بأمر بسيط هو التذكير مرة اخرى بأن كثيرا من أحداث العنف والتطرف التي حدثت في بلاد الغرب كان من ورائها رجال دين متطرفون، فما مصرع رئيس الوزراء الإسرائيلي السابق إسحاق رابين على أيدي متطرف يهودي إلا أكبر دليل على ذلك. ناهيك عن أحداث إطلاق الغازات السامة التي عرفتها أنفاق قطارات طوكيو عام 1995 والتي كان من ورائها متطرفون بوذيون، ويطول بنا الحديث لو أردنا استقصاء كل الحالات. ويكفي أن نشير إلى ان الباحث الفرنسي جيل كيبلGille Kepel كان قد أصدر منذ ثمان سنوات كتابا يحمل عنوان:انتقام الرب-4- ضمن جانبا كبيرا منه الحديث عن أبرز التيارات الأصولية المتطرفة بأمريكا وغيرها وبخاصة الإنجيلية منها والتي أثبتت الإحصاءات الحديثة تورطها في كثير من أعمال العنف الدامية.

ويبقى التساؤل الذي يمكن أن يثار بهذا الصدد هو: لماذا تلصق أحداث العنف والغلو التي تقع في العالم العربي بالإسلام في حين أن ما يقع في بلاد الغرب لا يكاد يلتفت إلى خلفيات منفذيها الدينية ولا يجرؤ أحد على ذلك؟. إننا لا ننكر أن عناصر متطرفة من أبناء المسلمين

البقية بالصفحة 10

أشعار في الزهد والحكمة

قال الشاعر أبو منصور الثعالبي:(350-429)(1)

الم تر ان الله اوحى لمريم ... وهزي اليك الجذع تساقط الرطب
ولو شاء ان تجتنيه من غير هزها ... جنته ولكن كل شيء له سبب

ص:148

وقال أيضا:

اما ترى الدهر وايامـا ... في العمر مثل النار في الشيح
يمر كالريح وما في يدي ... من مرها شيء سوى الريح

ص:156

وقال أيضا:

هي القناعة فالزمها تعش ملكا ... لو لم يكن منك الا راحة البدن
وانظر الى مالك الدنيا بأجمعها ... هل راح منها بغير القطن والكفن

ص:168

وقال ابن السيد البطليوسي(2)

امرت الهي بالمكارم كلها ... ولم ترضها الاوانت لها أهل
فقلت اصفحوا عمن اساء إليكم ... وعودوا بحلم منكم ان بدا جهل
فهل مجهول خاف صعب ذنوبه ... لديك امان منك او جانب سهل

ص:109

وقال أيضا:

اخو العلم حي خالد بعد موته ... واوصاله تحت التراب رميم
وذو الجهل ميت وهو ماش على الثرى ... يظن من الاحياء وهو عديم

ص:111

وقال أيضا:

الهي إني شاكر لك حامد ... واني لساع في رضاك وجاهد
وانك مهما وليت الفضل بالفتى ... على العائد التواب بالعفو عائد
تباعدت مجدا وادنيت تعطفا ... وحلما،فأنت المدني المتباعد
ومالي على شيء سواك معول ... إذا دهمتني المعضلات الشدائد
اغيرك ادعولي الها وخالقا ... وقد اوضع البرهان انك واحد

ص:100

الهوامش:

1-المورد-ع:1/1977

2-المورد-ع:1/1977

قال بعض الشعراء:

احث مكارم الاخلاق جهدي ... واكره ان أعيب وأن اعابا
واصفح عن سباب الناس حلما ... وشر الناس من يهوى السبابا
ومن هاب الرجال تهيبوه ... ومن حقل الرجال فلن يهابا

قال الشاعر:

لكل ولاية لابد عزل ... وصرف الدهر عقد ثم حل
واحسن سيرة تبقى لوال ... على الايام احسان وعدل

وقال آخر:

بلاء الناس مذ كانوا ... الى ان تنهض الساعة
طلاب الامر والنهي ... وحب السمع والطاعة

قال الامام الشافعي:

عفوا تعف نساؤكم في المحرم ... وتجنبوا مالا يليق بمسلم
ان الزنا دين فإن أقرضته ... كان الوفا من اهل بيتك فاعلم

وقال بعضهم:

شربنا كأس من نهوى جهارا ... فسرنا عند رؤيته حيارا
غمضنا الحلاوة والكؤوس تجلى ... ظننا أن بالكؤوس نارا
مشعشعة لها نور عظيم ... فليس للقلوب عنها اصطبارا
شربنا نقطة منها فهمنا ... فإن متنا فلا في الموت عارا
فمنا من يموت على ضوء ... ومنا من يموت على طهارا
ومنا من يكون في رأس جبل ... ومنا من يكون في قعر غارا
ومنا من يصوم ولا يبالي ... ومنا من لايدري كيف صارا
ومنا من يصم يوما بيوم ... يفطر بملح أو بعشب القيفارا
ومنا من يكن عريانا بهما ... يغيب عن البرودة والحرارا
ومنا من يكون مجدوبا فيهما ... سلب العقل يرمي بالحجارا
ومنا من يهيم على علوم ... وقرآن وذكر وافتكارا
ومنا من يهيم على سماع ... وعود ونقر طارا
ومنا من يكون شيخا مربي ... رئيس القوم صاحب الوقارا
ومنا من أخفى نفسه فيها ... فأخفي لا يزور ولا يزارا
ومنا من خص بالمحبة ... من غير صوم كثير ولا سهارا
ومنا من يطير في الهواء ... ومنا من له الخطوة أين سارا
ومنا من بيده الشرق والغرب ... والأفق بيديه كقبض دارا
فأحوال الرجال بحر عميق ... كبحر لاتدرك له قرارا
فسلم للرجال في كل حال ... ولا تغتب ولا ترمي بإشارا
أنا الشاذلي جدي محمد ... فلا بفخر ولا بافتخارا

تنمة العنف ظاهرة غربية أيضا

اختاروا سبيل العنف لتحقيق مصالحها والتعبير عن مطالبها، لكنها فئات معدودة لا تعبر قطعا عن الموقف العام لكافة المسلمين الذين هم أول المناهضين والمنددين بهم، كما أن بروز هذه الفئات الشاذة يعتبر أمرا طبيعيا في كل فئات المجتمعات ويوجد ما يشابهها في أوروبا وأمريكا واليابان وغيرها.

إن الغرب لا يمل من الحديث عن أن معظم المسلمين لهم قابلية ممارسة العنف والإرهاب، ولا يسأم من اتهام الإسلام بأنه المصدر الفاعل والمحرض على ذلك، لكنه يتجاهل حقيقة كون العنف والغلو يمثلان ظاهرة عامة تطال جميع بقاع المعمورة، وليست خاصة بالبلاد العربية والإسلامية كما يتوهم الغربيون، ثم ان محاولات التحرير الوطني واسترداد البلاد المغصوبة والمحتلة والتي تصاحبها عادة أعمال عنف متفاوتة لا يمكن إضفاء صفة الإرهاب عليها بمعزل عن البحث في أسبابها وخلفياتها ومراميها.

الهوامش:

1-عندما وقع الفجار "أوكلاهما" بالولايات المتحدة الأمريكية تعالت الأصوات في تسرع تنقصه الرزانة والتعقل إلى القول بأنه لن يكون إلا عنفا إسلاميا قبل أن تتجلى الحقيقة، وكادت التهمة نفسها تتكرر عندما انفجرت طائرة "بوينغ" الأمريكية قربا من شواطئ نيويورك لولا أن الرئيس "كلينتون" سارع إلى المناشدة بالتزام الصمت إلى حين نهاية التحقيق.

2-سورة الانفال/ الآية 61

3-سورة البقرة/ الآية 190

4-Gilles Kepel la revanche de Dieu) Paris 1991

وانظر حوار مع المؤلف حول كتابه في مجلة Vision العدد 11(أبريل-ماي 1991).

الفكر الاعتزالي وتطوره وخصائصه وأثره في أصول الفقه

نص العرض الذي قدمه الأستاذ محمد بيرو بين يدي لجنة مناقشة أطروحته لنيل دكتوراه الدولة في العلوم الإسلامية بدار الحديث الحسنية بتاريخ 29 محرم عام 1421

بسم الله الرحمان الرحيم

قال الله تعالى: ﴿وكان الإنسان أكثر شيء جدلا﴾ فالجدل فطري في الإنسان أم يكاد، وفي ذلك كفاية لتبرير نشأة الفرق في الإسلام وبالتالي قدر للفكر الإسلامي عامة وللفكر الاعتزالي خاصة أن يتسم مساره بالحدة والجدة والازدهار، وأن يعرف تطورا مطردا أو خصائص متميزة، وكان جديرا أن يعكف عليه الباحثون والدارسون رغبة في إشباع غريزة حب الاطلاع في مجال العلم والمعرفة فلتكن إحدى الدواعي وجانبا مهما من الجوانب العديدة التي كان لها أثر قوي لدي، ودافع داخلي في اختيار موضوع البحث ألا وهو«الفكر الاعتزالي وتطوره وخصائصه وأثره في أصول الفقه» بيد أنني سرعان ما أدركت نفسي في أعماق بحر هائم متلاطم الأمواج لاساحل له.

ومهما كان فقد قدر للمعتزلة أن يتبوءوا عرش الفكر الإسلامي دون منازع فتميز فكرهم بمميزات فريدة من نوعها وخصائص واضحة.

فلا أحد ينكر أن المعتزلة كان لهم دور عظيم في ازدهار الحياةالعلمية بصفة عامة والحياة العقلية بصفة خاصة.

فمنذ مطلع القرن الثاني للهجرة إلى القرن الخامس منه انفرد المعتزلة بالقيادة أي حتى أفل نجمهم واحتجب بعد ذلك وغرب عن المسرح الفكري وانسحب بالمرة.

ولتبرير أفول نجمهم أسباب عدة، منها معاداة الدولة لهم مع عهد المتوكل إذ وجد السنيون مقابل ذلك جوا ملائما لهم فتنفسوا فيه الصعداء بالرغم من أن المعتزلة قد وجدوا رعاية في بني بويه لكن الاضطهاد السلطوي لهم كان غير كاف إذ كانت هناك أسباب أخرى وعوامل شتى انضافت إلى ما تقدم.

وفي الطليعة الشيعة والخوارج أعظم نموذجين في هذا الشأن.

ومن الأسباب ما يرجع إلى المعتزلة أنفسهم حيث استعدوا الحكام على خصومهم في مشكلة خلق القرآن ومارسوا تقييد الحرية والحجر على الرأي.والغريب أنهم مارسوا ذلك مع إمام جليل من أئمة الحديث والفقه الامام أحمد بن حنبل، فكان رد الفعل ضدهم من العامة جارفا وقويا، ومن ثم كان استعلاءالفكر لدى المعتزلة لايحظى برضى العامة، خاصة أن المعتزلة قدثبت عنهم ونسب إليهم القول بأنه لاشفاعة لنبي عن الكبائر دون توبة ولا ينفع الميت دعاء الأهل ولااستغفار الأحباب وربما قراءة القرآن، أيضا، ولايخفى ما في هذه الآراء من تصدع في وجدان العامة وعواطفهم، ذلك أن شفاعة النبي عن الكبائر تكمن في تكريم الله لنبيه بأكثر مما تمكن في مغفرة الذنوب وخاصة الكبائر منها، ثم إن مقام الموت يقتضي مراعاة مشاعر أهل الميت، وقد نقم الناس على القاضي عبد الجبار الذي تصرف تصرفا غير لائق في حق الصاحب ابن عباد عند موته وهو ما هو في نظر الناس ولي نعمة عبد الجبار القائل في حقه أنا لا أترحم عليه لأنه لم يظهر توبته فطعن الناس عليه بذلك ونعتوه مع كثرة إحسان الصاحب إليه ولايشفع للقاضي عبد الجبار عند الناس أن يكون القاضي قد آثر نصرة مبدئه في خلود فاعل الكبيرة في النار على طلب المغفرة للمحسن إليه مع علمه ومجونه ومجالس لهوه ومشاركته في اغتصاب أموال الدولة ومصادرة الأملاك.

ومهما قيل فالفكر الاعتزالي فكر عربي إسلامي أصيل مولدا ونشأة له أثره الفعال في بناء صرح الحضارة الثقافية الإسلامية من جهة وله فضل كبير وأثر قوي في نهضة العلم من جهة أخرى.

والمعتزلة أنفسهم يعدون مؤسسة رئيسية لنشأة علم الكلام وتوسيع دائرة المعرفة الدينية عملا ونظرا احتل النص عندهم الدرجة الثانية فقدموا العقل على السمع فأولوا المتشابه من الآيات القرآنية منه معتمدين على العقل وليس للأحاديث التي تتعارض مع العقل أي اعتبار يرفضونها رفضا باتا لما يحظى به العقل لديهم من ثقة عمياء وتحرزوا من خبر الآحاد يرون أن معرفة الله تتحقق بالعقل ولو لم يرد في ذلك شرع.

وكان من الطبيعي أن تطلق عليهم عدة أسماء تحمل المعتزلة المسؤولية في الدفاع عن العقيدة الإسلامية بحرية مطلقة في مجال التأويل فواجهوا صراعا فكريا متباينا بين مؤيد وبين معارض، وأخذ على الفكر الاعتزالي تهميش العامة فشاع جومن التشويش والقلق في العالم الإسلامي بين المسلمين وكثرت الخصومات فتفرق المسلمون أحزابا وشيعا فكانت فكرة الجبر والاختيار والتشبيه والتنزيه وتنوع الفرق والتداخل التحمت فيه السياسة بالدين، والأخلاق بالمذهبية.

وقد تناولت في المقدمة الحوافز لاختيار الموضوع، والمنهجية التي سلكتها في البحث فالتمهيد مذكرا أن القرآن الكريم قد دعا إلى إعمال النظر فيما غمض من معاني آياته ومحكمه ومتشابهه بالنظر والتفكير والاستنباط مبينا أن الاختلاف يدل على حرية الرأي والتفكير والانفلات من التسلط والتقليد والجمود وشلل العقول. ثم أوضحت موقع الفكر الإسلامي من الفكر الفلسفي مبينا وجود ملامح عقلية منها ما هو فردي وآخر جماعي مباشرة بعد ظهور الإسلام حيث برزت شخصيات فكرية تألقت في سماء الفكر وشاركت في الحوار والجدال الفلسفي، وفي عصر التابعين ظهرت شذرات متفرقة عن شخصية معبد الجهني البصري الذي كان يخوض في مشكل القدر ثم أوضحت مرحلتي علم الكلام مرحلة الإيمان القلبي التي لقي فيها علم الكلام النفور وعدم الترحاب من علماء المسلمين وأئمتهم وفقهائهم ومحدثيهم وعلى رأسهم الإمام مالك الذي قال: إياكم والبدع، قيل يا أبا عبد الله وما البدع؟قال: أصحاب البدع هم الذين يتكلمون في أسماء الله وصفاته وفي رواية :الكلام في الدين أكرهه ولم يزل أهل بلدنا أهل المدينة يكرهونه ولا أحب الكلام إلا فيما تحته عمل، وروي أن أبا حنيفة قال لعن الله عمرو بن عبيد فإنه فتح للناس الطريق إلى الكلام فيما لايعنيهم من الكلام وكان سفيان الثوري ينهى أصحابه عن مجالسة المتكلمين ويقول عليكم بالأثر وإياكم والكلام في ذات الله.

وقال أبو جعفر الصادق:تكلموا فيما دون العرش ولا تتكلموا فيما فوق العرش فإن قوما تكلموا في الله فتاهوا. وفسر السيوطي الكلام أنه ضد السكوت وأن المتكلمين قد تكلموا في المسائل الاعتقادية حيث كان ينبغي الصمت وعدم الخوض فيها. المهم أن مرحلة الإيمان القلبي لائتلاءم والأهواء والجدال عكس مرحلة النظر العقلي، قال أبوالحسن الأشعري أول ماحدث من الاختلاف بعد وفاة النبي اختلافهم في الإمامة وتعتبر هذه مبدأ الجدال وتبعها مذهب الجبر في دولة معاوية، وباتساع الرقعة الإسلامية احتك المسلمون بحضارة وديانات مختلفة نشأ عنها حوار وجدال بين الأديان وكان من أهم العوامل الداخلية مسألة كلام الله ذهب جمهور المعتزلة إلى أن كلام الله حادث ومن أهم العوامل الخارجية اليهودية والمسيحية ذهب معظم اليهود إلى استحالة نسخ الشرائع، واختلاف الكناس فيما بينهم ولكنها أجمعت على أن كلمة الله في دلالتها على السيد المسيح قديمة ثم الدعوة إلى نبذ علم الكلام قال الجويني:ياأصحابنا لا تشتغلوا بعلم الكلام لو عرفت أنه يبلغ بي ما بلغ ما شغلت به. وقال الرازي لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فرأيتها لا تشفي عليلا ولاتروي غليلا قائلا ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي. وقال الغزالي:لم يكن في كتب المتكلمين إلا كلمات معقدة مبددة ظاهرة التناقض والفساد.

ثم ضرورة إلجام العوام عن علم الكلام وهو مايعني دفاع الغزالي عن عقيدة السلف موضحا اصطلاحا ولغة معنى الجدل مبرهنا بما لايقبل الجدال ابتعاد المتكلمين عن المنهج الجدلي في القرآن الكريم وآدابه موضحا مسار الخلاف في الفكر الإسلامي وأثر الاعتزال فيه مرحلة مرحلة بدءا من عصر النبي، عليه السلام، فعصر الصحابة رضوان الله عليهم ومابعدها.

ثم تناولت كل باب على حدة فصلا فصلا شرحا وتعليقا وفيما يلي سمات للفكر الاعتزالي مختصرة:

1-تفوقهم في النزعة العقلية لقد كانت أكبر سمة انطبع بها الفكر الاعتزالي ذلك أنه من لطف الله أن هدى الناس بالعقل والرسول والكتاب وللمعتزلة يرجع الفضل الكبير في نشأة علم الكلام والتفنن في أسلوب الجدل والتفوق فيه.

2 - تقوية العلاقة بين الدين والأخلاق فتجلى المضمون في الربط بينهما.

3 - الاختيار والحرية من أهم خصائص الفكر الاعتزالي.

4 - تميز الحركة الاعتزالية بمظهرين ديني وسياسي

5- صولة المعتزلة من سنة100 إلى 500 حين استبدوا بخصومهم في عهد المأمون والواثق والمعتصم وحظوا بتأييد الدولة لهم وفي عهد المتوكل استرد أهل السنة نفوذهم وانتصرت الدولة لهم منذ عام239.

6- لايخفى أنه كان للمعتزلة مدارس في البصرة برئاسة واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد ومن أشهر رجالها الهذيل بن العلاف وإبراهيم النظام والجاحظ وهي أشهر المدرستين ومدرسة بغداد برئاسة بشر بن المعتمر.

7- اعتقاد المعتزلة أنه لايستحق اسم الاعتزال إلا لمن يجمع القول بالأصول الخمسة وهي التوحيد- العدل- الوعد والوعيد - المنزلة بين المنزلتين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

8- طغيان التأويل لديهم أولوا الآيات القرآنية تأويلا عقليا وخصوصا المتشابهات.

9- مقاومة المعتزلة للجمود الفكري وقالوا عن العقل أنه يعد ضروريا كالحواس فأوصوا بالتفرقة بين العقل من جهة وتأثير العادات والتقاليد والقيود الموروثة من جهة أخرى.

10- سعي المعتزلة إلى توسيع مجال المعرفة الدينية فدعوا إلى الشك باعتبار أنه خير من اليقين الذي لا أساس له، قال أبو هاشم البصري: الشك ضروري لكل معرفة. وقال: إن أول واجب على المكلف هو الشك.

11- من خصائص الفكر الاعتزالي اعتبار التكليف مندرجا تحت أصل العدل.

12- يرى المعتزلة أن الآلام مصلح وصلاح للعبد ورحمة ونعمة وهو مايخالف ما ذهب إليه الأشاعرة.

13- يرى المعتزلة أنه من لطف الله أن يختار المرء الواجب ويتجنب القبيح.

14- إن أعمال العباد لها علة وهي نفع العباد.

15- فتنة الجدل والمناظرة وفتنة أحمد بن حنبل.

16- ظهور تيارات جديدة ساهمت إلى حد كبير بالدفع بالحركة الفكرية إلى الازدهار.

النتائج:

1- تقديم البحث في صياغة تتماشى وحداثة العصر بأسلوب واضح.

2- صبغ البحث بالواقعية.

3- إزالة كثير من العقبات في شأنه.

4- إثراء المكتبة الإسلامية.

■

الصفحة الأخيرة. الصفحة الأخيرة. الصفحة الأخيرة.

تأملات و خواطر

محمد الخضر الريسوني

وليمة فاجرة لأعشاب البحر

أصبح الهجوم على عقيدة الإسلام إحدى "موضات" العصر، ولم يعد هذا الهجوم مقصورا على الكتاب الصهاينة ورموز العنصرية الاستعمارية والمستشرقين الحاقدين، بل امتدت هذه العدوى إلى داخل البلدان العربية الاسلامية نفسها، وتدافع المرتزقون وأنصاف المثقفين، فشرعوا، تبعا، في إصدار كتاباتهم ومنشوراتهم السخيفة ضد الإسلام وما تسليمة نسرين وسلمان رشدي ومن على شاكلتهما إلا نماذج رديئةأساء أصحابها الأدب مع مقدسات الإسلام، وعلى نفس النهج ظهرت كتابات في جهات مختلفة و مع أن كلا من سلمان رشدي وتسليمة نسرين. حصلا على جوائز ومكافئات مغرية وأقيم لهما تكريم حافل في أمهات العواصم الأوروبية نظرا لباعهما الطويل وشجاعتهما وقدرتهما على التهجم والمس بالعقيدة الإسلامية فإن الآخرين ينتظرون دورهم في المكافأة والتكريم.

واليوم، وفي مصر بالذات، تصدر طبعة جديدة لرواية:"كتبها مؤلف سوري هو حيدر –حيدر بعنوان:"وليمة لأعشاب البحر "تشتمل على ألفاظ وعبارات تصف الله تعالى بكونه فنانا فاشلا،وان الرسول محمد– عليه الصلاة والسلام– كان مزواجا إضافة إلى وصف القرآن بكلام منحط تنزه الله عن ذلك، ولقد حاولت وزارة الثقافة المصرية الدفاع عن المؤلف باعتبار الكتاب مجرد رواية أسيء فهمها والعبارات المشبوهة فيها انما جاءت على لسان شخصياتها، وتتحدث عن لقاء بين شخصين هاربين من الجزائر، ينتميان إلى بعض التيارات التي تعرضت لمجازر من قبل السلطة العراقية في منطقة الأهواز بجنوب العراق، وتتم ملاحقتهما لتنتهي الرواية بالقبض على أحدهما وانتحار الآخر بالقفز من فوق صخرة مقدما نفسه "وليمة لأعشاب البحر"

هذا هو مضمون الرواية، ومحاولة الدفاع عنها لا يعفي كاتبها عن تجنيه وإساءته للاسلام والمسلمين، وليس من الابداع في شيء أن يسمح لأي كاتب مهما كان بتحريك كراكيزه أو شخصيات رواياته للتهجم على الذات الالهية والنبي محمد (ص)، وهذا ماذهب إليه الناقد الدكتور عبده زايد أستاذ النقد الأدبي بجامعة الأزهر عندما قال:«إن حدود حرية الإبداع ليست مفتوحة بشكل مطلق، وانه لا فرق بين حرية السلوك وحرية التعبير، فهناك المقبول والمرفوض، وليس من المنطق أن تعتدي على إنسان تحت بند أنك حر، فالحرية الشخصية تنتهي حيث تبدأ حرية الآخرين، وحرية المبدع تنتهي عندما تعتدي على عقيدة مجتمع مؤمن، فالحرية لاتتجزء، وميزتها في بعض القيود والا أصبحت نوعا من الفوضوية، والانسان الذي يتحرك في حدود هذه الحرية تكون حريته بالقدر الذي لاتجعله معتديا على حريات الآخرين في عقيدتهم».

و من المسخ الوارد في إحدى الحوارات الطافح بها كتاب حيدر.. وساء ما كتب على لسان شخصيات الرواية:

«ربي خذ بيدي في مملكتي لآخذ بيدك في مملكتك..رب زدني أرصدة في الدنيا والمصارف لأزيدك ابتهالا في الآخرة....

رب لتكن منافعنا متبادلة، وليتحقق القصد الذي من أجله ولدتني فأكون طفلك البار على هذه الأرض الفانية».

وفي حوار آخر فاجر جاء على لسان شخص يتحدث لآخر:

«..داخل هذه الأهواز التي خلقها الرب في الأزمنة الموغرة في القدم ثم نسيها فيما بعد لتراكم مشاغله التي لا تحد في بلاد العرب وحدها حيث الزمن يدور على عقبيه منذ ألفي عام..»

ما أسخفه من كاتب باع نفسه للشيطان لكن ربما بفعلته الشنيعة هاته والماسة بالعقيدة الإسلامية كان ينتظر مكافأة من نفس الدوائر الصهيونية والاستعمارية التي هللت لسلمان رشدي وتسليمة نسرين.

يا ترى، هل سيحصل على هذه المكافأة؟

المثقف وعالم الدين

الدكتور: التهامي محمد الوكيلي

لسنا نعلم بكل تأكيد، السبب الأساس، الذي يجعل مثقفينا يقفون، دائما، بإزاء أسئلة العقيدة ورجالاتها موقفا عداليا فيه كثير من التحامل؟

ولسنا نعرف على وجه التحديد، الدافع الذي يجعل عالم الدين يرى المثقف من منظور كونه مارقا حتى لا نقول كافرا أو ملحدا، برغم استمرار الطرفين، معا، في التأكيد على التشبث بأهداب الشريعة السمحاء وعلى الانبراء للدفاع عنها... دون أن ندري، نحن المتلقون، عن أي العقائد يرد هذا الدفاع، وضد أي الأعداء أو الخصوم أو الأخطار المحدقة؟!

إن المثقف، ولا نريد هنا أن نعمم، يمتشق قلمه للدفاع عن حرية الرأي، وعن احترام الرأي الآخر، وعن حرية المبادرة والاجتهاد، كلما آنس من الهيئات أو الأشخاص المختصين بشؤون علوم الدين رفضا لاجتهادات بعض المثقفين في تقديم فهوم جديدة للنص الديني مهما ابتعدت هذه المفاهيم عن المقاصد الأساس وعن روح التعاليم المنزلة ذاتها، ومهما كانت الأفكار المعبر عنها في هذا السياق نزقة وحاملة لكل مظاهر المروق والزندقة، حتى أن المرء ليتساءل أحيانا : هل كون شخص ما مثقفا يعني بالضرورة كونه مرتدا أو مؤهلا لاكتساب صفة الردة، وفي أفضل الأحوال، صفة العصيان والخروج عن الإجماع؟!

لقد قدم لنا الواقع اليومي نماذج من مواقف لجمهور من المثقفين، حاول بعضهم إيجاد مبررات مقبولة لما صدر عن مفكر غريب الأطوار، هو سلمان رشدي، أو لما ندد عن نصر حامد أبي زيد، أو عن غير هذين الباحثين، ممن أجازوا لأنفسهم تحت غطاء حرية الرأي وضرورة الاجتهاد من اجل التطوير أن يصيبوا النص المنزل بالتغيير والتحريف حتى إذا أوخذوا على ذلك قالوا إنما نحن نقوم بما قام به السلف الصالح من أعباء الاجتهاد والتطوير والتحديث لمواكبة العصر، وللتمشي مع أنماط العلاقات الجديدة ومع إكراهات أخرى تعز عن الحصر منها العولمة، والتقدم التكنولوجي، وضرورة العقلنة والعلمنة... إلى آخر قائمة شديدة الطول من مبررات الخروج عن المحجة البيضاء... هذا، مع العلم أن هؤلاء مؤهلون بفضل مكاناتهم العلمية وسعة معارفهم لكي يكونوا قدوة يقتدى بهم وفوانيس يستنار بها في ظلمات حضارة انتقائية ووجودية إلى أبعد الحدود!

لقد قام مثقفونا بالأمس ولم يقعدوا، دفاعا عن مارسيل خليفة الذي غنى آية قرآنية كان قد وضعها الشاعر محمود درويش ضمن إحدى قصائده لا لتغنى، ولا لتكون مبعثا على الطرب والدغدغة الموسيقية، وإنما ليثقل بها كفة رسالته المبثوثة عبر تلك القصيدة، وليدعم بها الصورة التي قدم بها إنسان الزمن الرديء الحالي والتي تشبه كثيرا صورة يوسف الصديق، عليه السلام، المكلوم في إخوته وأهله وذوي قرباه، برغم رفعة منزلته عند ربه وتخصيصه إياه بالحظوة والقرب والنبوة.

وبرغم الموقف المختل، عقديا، للمغني المذكور، فإن مثقفينا ناصروه وعززوه باسم الحرية وحقوق الإنسان، وباسم قداسة الكلمة والشعر، كأن هذه المبادئ لا أثر لها في كتاب الله وسنة رسوله، وكأنما هي بخلاف ذلك حكر على الفكر التحرري الحديث البالغ أبهى مقامات العبث وأزهى مراتب التملص من التزامات الدين وواجباته طمعا، فحسب، فيما يرتبه الدين من الحقوق والامتيازات.

وفي مواقف أخرى مشابهة، ناصر مثقفونا الباحث المصري المذكور نصر حامد أبا زيد، وصنوه الدكتور مصطفى محمود، وقبلهما الدكتور محمد شحرور، وآخرين وآخرين... دون أن يقف هؤلاء المثقفون ليساءلوا أنفسهم عن موضوع الدعم والمناصرة :هل هو الفكر الجديد الذي جاء به هؤلاء داعين في ظله إلى تعطيل بعض النصوص الدينية الثابتة كقسمة الإرث بين الذكر والأنثى بالتساوي نصر حامد ومحمد شحرور أو رفع الحجاب إلى أقصى ما هو ممكن محمد شحرور أو رفض فكرة الشفاعة مصطفى محمود، أو التغني بجسد المرأة وجعله موضوع أخذ ورد في سياق الدعوة إلى مساواة تمائلية مستحيلة بين الذكر والأنثى، أو إلى علمنة الإسلام، وهي علمنة في غاية الاستحالة هي الأخرى لانطلاق الدعوة إليها من قاعدة خاطئة تقتضي الاعتقاد المسبق بإمكان دخول المطلق النص الديني الثابت في النطاق الضيق للنسبي الفكر الوضعي العلماني وهذا ما نادت به مجموعة من الباحثين المغاربة المتغربين أمثال د/عبد الصمد الديالمي، الذي نسج كثيرا وبشكل مفرط على منوال فرويد، ورايش، وهيربرت ماركوز، وغير هؤلاء من العلمانيين المصابين بعمى القلب وشلل الوجدان وموات الروح وبالشبق الذي جعلهم يفسرون كل الظواهر والسلوكات من منظور الجنس والفعل الجنسي والرغبة الجنسية!!

لسنا هنا بصدد وضع صيغة للتفاضل بين المثقف ورجل الدين أو عالم الدين، فكل منهما مسؤول أمام ربه ،عز وجل، ومساءل عن نياته وأفكاره وأقواله وأفعاله ، ما ظهر منها جميعا وما بطن؛ ولكننا بصدد طرح السؤال حول المرجعيات التي تجعل من هذين الطرفين طرفي نقيض في معادلة الحوار العلمي والثقافي والعقدي القائم، علما بأن أولهما مشبع بفكر من قبيل ما يدعو إليه كارل ماركس المادية الجدلية ، ودافيد هيوم الشك ، وجان بول دوسارتر الوجودية، وسيجموند فرويد العلية الجنسية ، وهيربرت ماركوز الاشتراكية الفرويدية (وغير هؤلاء من مفكري الحضارة البيضاء السائدة في الشمال والغرب من الكوكب الأرضي؛ بينما الثاني رجل الدين ناهل فحسب، وحسبه ذلك، من الكتاب والسنة، ومن السيرة والأخبار والآثار، لا يريد عن هذه المصادر والمرجعيات بديلا، ويظل يرى أن أي اجتهاد محتمل إنما ينبغي أن يكون داخل سياقها الشمولي، ومحتكما إلى ثوابتها التي تكرس لوحدة الدين الإسلامي ولبعديه الشاسعين والشاملين، الإنساني والكوني، ولأزليته التي لا يجادل فيها إلا كافر أو منافق أو جاهل في غاية الجهل والعمى.

لسنا ندري،إذن، كيف يمكن للمثقف المسلم أن يغير من موقفه وأن يقلب معطفه بمجرد ما يجد نفسه بإزاء فقيه أو عالم دين أو إمام من الأئمة المشهود لهم برجاحة الرأي وسعة الاطلاع في أمور وشؤون تهم الدارين معا، وأن يستشهد في مواقفه تلك بكل المصادر والمراجع إلا المصادر والمراجع التي يستمد منها غريمه، وأن يتشبث كل التشبث بقيم ومعان وشعارات وضعية يعرف حق المعرفة أنها لا تستقيم ولا تصمد أمام الكلام الإلهي وأمام جلال الدين وثباته وأحديته المستمدة من أحدية الديان، جل وعلا، وجل علمه وخبرته المطلقين.

إن السؤال الذي علينا طرحه الآن، ليس هو هل أنت مثقف، أو عالم دين؟ حتى نعرف أي الأطراف أنت، وإنما هو اهل أنت عالم أو جاهل أو في الطريق إلى أحد الوجهتين وجهة العلم ووجهة الجهالة؟.

ذلك أننا لا نقبل فكرة المثقف ولا نجد لها مكانا في الفهم الديني، الذي هو سيد الفهوم بلا جدال، وإنما نقبل، فقط، بصفة العالم أو الجاهل أو طالب علم، ولعمري أن هذه الصفة، فقط، هي السارية على رجالات الثقافة والعلم الديني على السواء شاء ذلك من شاء وأباه من أبى... والعبرة بالخاتمة.